النزعة العقلية

عند الإمام المهدي لدين الله الحسين بن القاسم العياني

دكتور

السيد محمد عبد الرحمن

الناشر

دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر

تليفاكس: ٥٢٧٤٤٣٨ - الإسكندرية

النزعــة العقليــة

عند الإمام المهدي لدين الله الحسين بن القاسم العياني

الناشــــــــر: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر

العنــــــوان: بلوك ٣ ش ملك حفنـي قبلـي السـكة الحديـد - مسـاكن درباله - فيكتوريا - الإسكندرية.

تليفــــــاكس: ٥٢٧٤٤٣٨/ ٠٠٢٠٣ (٢ خط) - موبايل/ ٠١٠١٢٩٣٢٣٣

الرقم الـبريدى: ٢١٤١١ - الإسكندرية - جمهورية مصر العربية.

E- mail

dwdpress @ yahoo.com
dwdpress @ piznas.com

Websitc

http:/ www.dwdpress.com

عنوان الكتاب: النزعة العقلية - عند الإمام المهدي لدين الله الحسين بن القاسم العيانى

المـؤلــــــف: د. السيد محمد عبد الرحمن

رقـم الإيـداع: ٧٩٣٩/ ٢٠٠٣

الترقيم الدولى: 6 - 346 - 327 - 977

بسم الله الرحمن الرحيم

{ وما أوتيتم من العلم إلا قليلا }

الإهداء

إلى أستاذي الفاضل

الأستاذ الدكتور / محمد محمود أبو قحف

أستاذ الفلسفة الإسلامية ورئيس قسم الفلسفة السابق بآداب الزقازيق – جامعة الزقازيق

المقدمة

إن الإمام المهدي لدين الله الحسين بن القاسم العياني يعد ظاهرة عقلية متميزة فهو ينطلق في كل مصنفاته من منطلق عقلي يقدم فيه العقل على النقل وفي ذلك يقول : " فإن قال فبما عرفته ؟ - أي الله - قيل له ولا قوة إلا بالله بما هو أولى وأحق من الأبصار واصدق من جميع الأخبار . فان قال وما ذلك ؟ قيل له ولا قوة إلا بالله : ذلك العقل الذي لا يجوز عليه المحال ولا يقبل ما فسد من المقال ، فلو أدركنا صنع جميع الأشياء بمشاهدة رأي أعيننا لما كان ذلك أبدا مثل العقل "[1] . وهذا النص - كما هو واضح وإلى جانب تقديمه العقل على النقل - يَسِمُ العقل بالعصمة . بل نراه يصرح بان أدلة العقول اقطع للملحدين من أدلة المسموع[2] .

ومن هذا المنطلق فارق المهدي النص وخالفه مخالفات واضحة ، غير أن الضغط الشعبي قد حد من نزعته العقلية هذه ، ذلك الضغط الذي صعده أعداؤه ضده ، حيث كان المهدي إمام دولة لها أعداؤها ، وقائد مذهب له خصومه ، هذا بالإضافة إلى عدم رضاء الكثير من علماء مذهبه بغلوه العقلي ومهاجمتهم له في ذلك .

كل هذه العوامل جعلت مفكرنا يتراجع بعض الشيء عن الإسراف العقلي ، بل وجعلته يذهب في بعض كتبه إلى أن ما أشيع عنه من مخالفات عقلية شرعية إنما هي من أكاذيب أعدائه وافتراءاتهم . ولكن

---

(١) شواهد الصنع ، ضمن مجموع المعجز ، المصور بدار الكتب المصرية على ميكروفيلم رقم (٢٧٢) ، عن اصل بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء (١٣٠) علم كلام ، لوحة ٧٤ يمين .

(٢) المصدر السابق ، لوحة ٣٦ شمال .

وعلى الرغم من أن نزعته العقلية المسرفة اكبر من أن ينكرها منكر إلا أن مجمل فكره في النهاية لا يبتعد به كثيرا عن روح مذهبه الزيدي ولا عن روح الإسلام .

وهذه الحقيقة واضحة غاية الوضوح في كل جوانب فكره الإلهية والإنسانية والطبيعية ، فالرجل قد ينفرد بأراء بعيدة بعض الشيء عن المفهوم الواضح للدين الإسلامي إلا انه في النهاية يلتقي مع أصول الإسلام العامة .

وحتى تتضح هذه الحقيقة سنقف بالدراسة والتحليل والنقد لجوانب فكره المختلفة بقدر المستطاع ، ولذلك سنقسم الكتاب إلى عدة فصول هي كالتالي :

الفصل الأول : سيرته ومصنفاته .

الفصل الثاني : نزعته الاعتزالية .

الفصل الثالث : مذهبه في المعرفة .

الفصل الرابع : مذهبه في الوجود .

الفصل الخامس : مذهبه في الله وصفاته .

الفصل السادس : مذهبه في النبوة والإمامة .

والله الموفق

دكتور / السيد محمد عبد الرحمن

مدرس الفلسفة الإسلامية بآداب قنا جامعة جنوب الوادي

الفصل الأول

سيــرته ومصنفــاته

أولاً : سيرته :

١- اسمه :

"المهدي لدين الله الحسين بن القسم بن علي بن عبد الله بن محمد بن القسم بن إبراهيم بن إسماعيل"(١). وتختصر الكثير من المصادر والمراجع القديمة والحديثة اسمه فتقول : المهدى لدين الله أبو عبد الله الحسين بن القاسم (٢) " المهدي لدين الله الحسين بن القاسم بن علي العياني " (٣). المهدى الحسين بن القاسم(٤).

ويتبين من هذا العرض لاسمه أن : الإمام المهدي يكنى بأبي عبد الله ، ويلقب بالمهدي لدين الله ، وينسب إلى عيّان (٥)، ويرجع بأصله إلى

---

(١) الإمام حميدان بن حميدان : "بيان الإشكال فيما حكي عن المهدي من الأقوال " ضمن مجموع رسائله المصور على ميكروفيلم رقم (٢٢١٩) عن اصل بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء / الكتب المصادرة ، لوحة ١٣٢يمين .

(٢) المحلى : " الحدائق في مناقب الأئمة الزبدية " ، مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٨٦٧ تاريخ ، جـ ٢ ، لوحة ٥٩ – ٦٠.

(٣) عبد الله محمد الحبشي : " مصادر الفكر العربي الإسلامي باليمن "، مركز الدراسات اليمنية ، صنعاء د . ت . ص ٥٢٦ ، ٥٢٧ . د / احمد محمود صبحي "الزيدية " ، ط ٢ ، الزهراء للإعلام العربي ، سنة ١٩٨٤ ، ص ٥٨٩ .

(٤) د/ ايمن فؤاد سيد : " تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن حتى نهاية القرن السادس الهجري " الدار المصرية اللبنانية ، سنة ١٩٨٨م ، ص ٢٣٩.

(٥)عيّان : بفتح أوله وتشديد ثانيه ، هو بلد باليمن من ناحية مخلاف جعفر [ياقوت الحموي معجم البلدان ، م٤ ، دار صادر ، بيروت ، د . ت ، ص ١٧١] .

(٦) هو القاسم بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب [د. ايمن فؤاد سيد : تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن ، نقلا عن جمهرة انساب العرب لابن حزم] .

الإمام القاسم الرسي(٦) الذي يرجع بأصله هو الأخر إلى الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه . ومولده سنة ٣٧٦هـ - ٩٨٦م (٧).

٢- بيئته الخاصة :

نشأ الإمام المهدي لدين الله الحسين بن القاسم العياني في اكبر بيت من بيوت الزيدية ، فأبيه الإمام المنصور بالله أبو محمد القاسم بن علي بن عبد الله العياني يُعد من أهم أئمة الزيدية في اليمن إبان دولتهم الأولى بها(١). وكشأن كل رجال هذا البيت تلقى المهدي العلوم عن آبائه فبرز في العلم حتى يروى انه فاق في ذلك أهل زمانه ووضع تصانيف كثيرة في علم الكلام وفي الرد على مخالفي العترة النبوية بلغت نحو ثلاثة وسبعين تصنيفاً . غير أن هذا التلقي لم يكن تلقيا سلبيا ، بل ورث الرجل عن أبيه نزعة نقدية استقلالية ، فلقد كان والده الإمام القاسم يخالف الإمام الهادي إلى الحق في مسائل الفروع (٣) . وكانت الزيدية في وقته يعتقدون " أن المصيب في الاجتهادات واحد والحق معه "(٤) .

غير أن الإمام المهدي بالغ في نزعته النقدية هذه حتى قادته هذه المبالغة إلى الغرور فخرج بغروره هذا عن أصول مذهبه الزيدي ، بل وعن كافة المذاهب الإسلامية . وفي ذلك يرى مسلم اللحجي أن الإمام المهدى

---

(٧) الحبشي : " مصادر الفكر العربي الإسلامي باليمن "، ص ٥٢٦ . د / احمد محمود صبحي "الزيدية " ، ص ٥٨٩.

(١) د. ايمن فؤاد سيد : تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن ، ص ٢٣٨ .

(٢) يحي بن الحسين : " طبقات الزيدية المعروف بالمستطاب في تراجم رجال الزيدية الاطياب " مخطوط مصور بدار الكتب المصرية برقم (١٥٦٣٢ح) ، لوحة ٣٨ .

(٣) د . ايمن فؤاد سيد : تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن ، ص ٢٣٩ .

(٤) المرجع السابق عن أئمة اليمن لمحمد زبارة ، ص ٢٤٠ .

الحسين بن القاسم ووالده المنصور كانا يريا أشـــياء تقضـــى بمخالفتـــها لمذهب أسلافها([1]) . ويقول الحبشي : "كانت عقيدة الإمام المهدي موضـــع ريبة عند كثير من علماء اليمن ومنهم من خطأه اليمني محمد بن إبراهيـــم الوزير المتوفى سنة ٨٤٠ الذي يقول في كتابه الروض الباسم أثناء حديثه عن علماء الكلام وادعائهم الذكاء " واغتر بهذه الشبهة بعينها الحسين بـن القاسم العياني أحد من ادعى الإمامة من الزيدية فخرج من مذهب الزيديـــة بل من المذاهب الإسلامية ، وادعى انه افضل من رســـول الله صلـــى الله عليه وآله وسلم وان كلامه انفع من كلام الله عز وجل "([2]).

ولكن المؤرخ احمد بن محمد الشرفي المتوفى سنة ١٠٥٥ يذهب إلـــى أن ما حيك حول الإمام المهدي ووالده من أخبار توهم بخروجـــهما عـــن الدين الإسلامي إنما هو من تلفيق المؤرخ اليمني مسلم اللحجي الذي اهتـم بتاريخهما ، يقول : وما شنع به مسلم اللحجي عليهما واتهمـــهما بـــه لا يحط من رتبتهما ولا يقبله إلا من انخرط في سلك أعدائهم فـــان شـــهرة فضلهما وكثرة عنايتهما بالدين أوضح الأدلة لذوي البصائر . وقد دفعـــت هذه الشائعات العلامة حميدان بن احمد بن يحي حميدان إلى تأليف كتـــاب مفرد بعنوان " بيان الإشكال فيما يحكى عن المهدي الحسين بـــن القاســم العياني من الأقوال "([3]) . يبين فيه أن هذه التهم ما هي إلا افتراءات مـــن خصومه : " لما خصه الله من الفضائل والخصائص المشهورة ولما وضـــع على حداثة سنه من العلوم الباهرة الكثيرة ولحســـن سياســـته وســـيرته

---

(١) الحبشي : " مصادر الفكر العربي الإسلامي باليمن ، ص ٥٢٦ .

(٢) الإمام حميدان : بيان الإشكال فيما حكي عن المهدي من الأقوال ، لوحة ١٣٢ يمين .

ولظهور عدله ولطفه برعيته واستظهاره بما أوضح من الأدلـــة الدامغـة لجميع مخالفيه ، ولما روي من إشارة النبي صلى الله عليه وعلـــى آلــه وسلم إلى قيامه في الوقت الذي قام فيه وأشباه ذلك مما عجز رفضته عـن إنكاره ولاشتهاره حتى التجئوا إلى التخيل بان يكون بعضه مـــن خواصـه وأنصاره ليتوصلوا بذلك إلى اللبس والتدليس في كتبـــه والصـد بـالكذب والتحريف عن سلوك مذهبه "(١) .

إذن نحن بين تيارين متنازعين في أمر الإمام المهدي فريـق يتهمـه بالخروج على أصول المذهب الزيدي والدين الإسلامي ، وفريق أخر يبرئه من هذه التهمة . والحق أن هذه التهم تصيب الكثير من الحق في أمر هـذا الرجل الذي اغتر بعقله ، يؤكد هذا أن اكبر المدافعين عنــه وهــو الإمــام حميدان لم يستطيع أن ينفي بعض هذه التهم وإنما كان كل عمله ينحصـر في تقديم تبريرات كلامية خطابية اكثر منها نفيا للتهم التي لصقت به ولـم يستطيع أن ينكرها ، ومن أمثلة ذلك وفي الرد على من زعم انه زعــم أن كلامه ابهر من كلام الله سبحانه يقول: " وفي جوابه لمن سأله عن معنـى قوله : أن أدلة العقول اقطع للعقول من أدلة المسموع ... أن تفسير الأئمة للمتشابه أبين من المتشابه ، إنما قولي انه اقطع للملحديـن والمشـتبهين وانه أبين من المتشابه من كلام رب العالمين "(٢) .

وإزاء هذه الأقوال انقسم الناس إلى فريقين : "حتى أن من الناس مـن نسبه لأجل ذلك إلى الجهل ومنهم من وصفه بزوال العقل ومنهم من غـلا

(١) المصدر السابق ، لوحة ١٣٥ يمين .

(٢) المصدر السابق ، لوحة ١٣٥ يمين .

ففضله على السلف ورفض من بعده من أئمة الخلف "[1] . ونسب هذا الفريق الأخير إليه فعرف باسم الفرقة الحسينية .

ولقد غالت هذه الفرقة في هذا الرجل مغالاة كبيرة ، فزعمت عدة مزاعم باطلة منها : " انه لا حجة بعده "[2] . " وزعم البعض انه مهدي عيسى "[3] وانه لا يموت ولا يستشهد حتى يقوم في أخر الزمان "[4] فيملأ الأرض عدلا ، إذ هو المهدى المنتظر في زعمهم [5] كما زعموا أن كتب الأئمة أولى من كتاب الله بالصدق واقرب إلى الصواب والحق "[6] ويرون أن من لم يقل بقولهم هذا فيه فهو كافر من أهل النار [7].

ودامت فتنة الحسينية في اليمن إلى عصر الإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة المتوفى سنة ٧٤٧ / ١٣٤٦ [8].وبلغ من انتشار فتنهم أن الشويف محسن بن محمد الحسنى القادم من طبرستان إلى شهارة باليمن في جمادى الأولى سنة ٤٨٥ / ١٠٩٢ تحدث معه أهل اليمن في شأن الحسينية ، فقال : إن بطبرستان ونواحيها من الحسينية زهاء ستة عشر ألفاً وعندهم ((المعجز)) و((التفسير))[9] .

---

(١) المصدر السابق ، لوحة ١٣٢ يمين .

(٢) المصدر السابق ، لوحة ١٣٥ يمين .

(٣) المصدر السابق ، لوحة ١٣٦ يمين .

(٤) المصدر السابق ، لوحة ١٣٦ شمال .

(٥) المحلى : الحدائق الوردية ، جـ ٢ ، لوحة ٦٠

(٦) المصدر السابق ، لوحة ١٣٥ يمين .

(٧) د . ايمن فؤاد سيد : تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن ، ص ٢٤٠ .

(٨) المرجع السابق .

(٩)) ابن أبي الرجال : مطلع البدور ومجمع البحور ، مخطوط مصور بدار الكتب المصرية برقم (٤٣٢٢ تاريخ) جـ٤: لوحة ٤١٤.

٣- بيئته العامة :

عاش الإمام المهدي لدين الله ـــ في أواخر القرن الثـــالث الـــهجري ـــ بيئة مضطربة وخاصة في جانبيها السياسي والديني على ما سنبين :

(أ) الأحوال السياسية :

كانت هذه الفترة التي عاشها الإمام المهدي في العصر العباسي الثـــاني وهي فترة تميزت بعد م استتباب أمور الحكم فيها للخلفـــاء العباســـيين ، فظهرت منذ أواخر العصر العباسي الثاني وبسبب ضعف الخلافة الكثير من الدول في أنحاء متفرقة من ارض الخلافـــة الإســـلامية : ففـــي المشـــرق الإسلامي : قامت الدولة الصفارية (٢٥٤ ـــ ٣١٦ هـــ = ٨٦٨ ـــ ٩٠٨م) مقرها سجستان . وقامت الدولة الطاهرية (٢٥٠ ـــ ٣٦١هـــ = ٨٦٤ ـــ ٩٢٨م) ومقرها سمرقند . والدولـــة الســـمانية الفارســـية (٢٦١ ـــ ٣٨٩هـــ = ٨٧٤ ـــ ٩٩٩م) ومقرها سمرقند . وفي المغرب الإســـلامي : ظهرت في مصر الدولة الطولونية (٢٥٤ ـــ ٢٩٢ هـــ = ٨٦٨ ـــ ٩٠٥م) . والدولة العبيدية في المغرب ثم انتقلت إلى مصر (٢٩٧ ـــ ٥٦٧هـــ = ٩١٠ ـــ ١١٧١م) . وفي اليمن قامت دولة بني زيـــاد (٢٠٣هـــ ـــ ٨١٨م = ٤٠٧هـــ ـــ ١٠١٦م) في زبيد . ودولة بني يعفُـــر (٢٤٧ ـــ ٣٧٨م = ٨٦١ ـــ ٩٩٧م) في الجند وصنعاء . ودولة بني الرسي التـــي أسسها الإمام الهادي إلى الحق يحي بن الحسين الرسي ، والتـــي ينتمـــي إليها شخصية بحثنـــا الإمـــام المـــهدي (٢٨٤ ـــ ٧٠٤هـــ = ٨٩٣ ـــ ١٣٠٠م) في صعدة ثم انتقلت إلى صنعـــاء (١٠٠٠ ـــ ١٣٤٣هـــ = ١٥٩١ ـــ ١٩٢٥م) .

وبالطبع لم تكن العلاقة بين الدول القائمة في اليمن علاقة سلام إذ أن هذه الدول كانت تتسع وتضيق على حساب بعضها البعض ، ومن ثم كانت الحرب اقرب اللغات إلى التفاهم بين هذه الدول . فبعد وفاة الإمام القاسم تولى المهدى لدين الله أمر الإمامة سنة ٣٩٣هـ -١٠٠٢م فملك من منطقة ألهان إلى صعدة وصنعاء (١). ولم يصفو له الأمر فنازعه فيه محمد بن القاسم ... فتوجه لمحاربته ... ووقعت بينهما مقتلة تحت صنعاء انهزم فيها المذكور وذلك سنة ٤٠٣ ولم يصفوا الأمر فقد نشبت بعدها معارك عديدة كان خلالها الإمام المهدي يقوم بمناضلة أعدائه بنفسه حتى أسفرت إحدى المعارك عن قتله "(٢). وكانت تلك المعركة مع آل الضحاك في ريدة(٣).

وفي عصره تقلصت دولة الأئمة وأصبحت محصورة بين ناحية الهان وصعدة لقوة نفوذ الدولة الزيادية(٤)وقبر بمدينة ريدة وعمره نيف وعشرون سنة (٥) .

وبوفاة الحسين بن القاسم انتهت دول الأئمة الزيديين الأولى في اليمن ، ولم تعد تنطبق هذه الصفة على أمراء هذه البلاد(٦).

---

(١) المحلى : الحدائق الوردية ، جـ ٢ ، لوحة ٦٠.

(٢) محمود شاكر : التاريخ الإسلامي ، م٦ ، الدولة العباسية ، جـ٢ ، ط ١ ، المكتب الإسلامي ، بيروت سنة ١٩٨٥ م ، ص ١٩٩ .

(٣) الحبشي : مصادر الفكر العربي الإسلامي باليمن — ص ٥٢٦.

(٤) المحلى : الحدائق الوردية ، جـ ٢ ، لوحة ٦٠.

(٥) د / ايمن فؤاد سيد : تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن ، ص ٢٤١.

(٦) المحلى : الحدائق الوردية ، جـ ٢ ، لوحة ٦٠ — احمد محمود صبحي : الزيدية ، ص ٥٨٩.

(ب) الأحوال الدينية :

لا يخفى ما يمكن أن يكون بين الحالة السياسية والحالة الدينية من صلة فلقد كثرت في تلك الفترة الفرق الدينية الإسلامية واشتهرت مذاهبها من الشيعة والقدرية والمجبرة والمعتزلة وغيرها ، ولقد كان لبعض هذه الفرق بالغ في فكر شخصية بحثنا الإمام المهدي – إيجابا وسلبا – ولذا سنعرض لأهم هذه الفرق موضحين موقف الإمام منها .

الشيعة [1] خمس فرق : كيسانية ، وزيدية ، وإمامية ، وغلاة ، وإسماعيلية ، وبعضهم يميل في الأصول إلى الاعتزال ، وبعضهم إلى السنة ، وبعضهم إلى التشبيه[2].ولم تكن العلاقة بين من مفكرنا الزيدي والإمامية من هذه الفرق على مأ يرام بل انه – كشأن أسلافه هاجمها هجوما شديدا بل ووصمها بالضلال والكفر[3].

بل إن فرقته الزيدية نفسها كانت قد انقسمت – في عهد أبيه – على نفسها إلى فرقتين : هما الفرقة المخترعة التي تعد امتدادا طبيعيا للزيدية الحقيقية ، والفرقة المُطرفية ، والتي أحدثت الكثير من الأقوال التي تخوج على أصول المذهب الزيدي كما صاغه الأئمة الأوائل [4] . وكانت المطرفية

---

(١) الشيعة هم الذين شايعوا عليا رضي الله عنه عن الخصوص ، وقالوا بإمامته وخلافته نصا ووصية : إما جليا أو خفيا ، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده وان خرجت فبظلم يكون من غيره أو بتقية من عنده [الشهرستاني : الملل والنحل ، إعداد وتقديم عبد اللطيف محمد العبد ، ط ١ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، سنة ١٩٧٧م ، ص ١٤٩] .

(٢) المرجع السابق .

(٣) الإمام حميدان : بيان الإشكال فيما حكي عن المهدي من الأقوال ، لوحة ١٠٦ شمال .

(٤) تعتقد الفرقة المطرفية فلسفة طبيعية يصيغونها صياغة جيدة من خلال مذهبهم في الإحالة ذلك المذهب الذي يعني أن الله لم إلا عناصر العالم الأربعة التي هي الماء والنار والتراب والهواء ، وان هذه العناصر هي

في ذلك الوقت من ألد أعداء المهدي حيث إن اكثر التهم التي وجهت إليه كانت من المطرفية (1) .ثم فتن هو بكلامه بعض الزيدية ممن سموا بالحسينية التي سبق الحديث عنها .

أما المعتزلة فلقد كان تأثيرهم في شخصية الإمام المهدي ــ شأن أسلافه ــ واضح كل الوضوح . يتضح ذلك في آرائه في اصلي العدل والتوحيد واللذين يعدا من أهم أصول المعتزلة الفكرية بحيث من لم يقل بهما لا يعد معتزليا . ولذلك ومن هذا المنطلق هاجم مفكرنا الفرقة الجبرية لان القول بالجبر يتعارض مع مفهوم العدل الإلهي .

ثانيا : مصنفاته :

رغم صغر سن الإمام المهدي إلا انه تميز بغزارة علمه مع صغر سنه إذ قتل وسنه نيف وعشرون عاما ، ألف فيها ثلاثا وسبعين مؤلفا منها : نهج الحكمة ــ تفسير غرائب القرآن ــ مختصر الأحكام ــ كتاب الإمامة ــ الرد على أهل التقليد والنفاق ــ الرد على الداعي ــ كتاب الرحمة ــ كتاب

التي تدبر العالم وذلك أنها تؤثر في بعضها البعض وتحدث التغير أو الإحالة ، وتغير نفسها بنفسها أي الاستحالة ، وقد رتبوا على هذه الإحالة أقوالا كثيرة خرجوا بالكثير منها عن دائرة الفكر الإسلامي الصحيح : مثل إنكارهم خلق الله للأعراض ، وردهم لكل شيء إلى المادة بما في ذلك الروح والعقل والمشاعر الإنسانية ، وإنكار عذاب القبر ..الخ [المحلي : البرهان الرايق المخلص من ورط المضايق ، مخطوط مصور بالهيئة العامة للكتاب على ميكروفيلم رقم ١٤٦ ، لوحة ٧٠يمين . يحي بن الحسين : طبقات الزيدية ، لوحة ٣١ شمال . القاضي جعفر بن عبد السلام : رسالة في الرد على المطرفية ، مخطوطة مصورة بالهيئة العامة للكتاب إلى ميكروفيلم رقم ٢١٥٣ ، لوحة ٦٤ شمال . ولكاتب هذه السطور : مذهب الإحالة عند الشيعة المطرفية ، بحث منشور بمجلة كلية الآداب بقنا سنة ١٩٩٨م] .

(١) د . احمد محمود صبحي "الزيدية " ص ٥٨٩ .

التوفيق والتسديد ـ كتاب شواهد الصنع ـ كتاب الدامغ ـ كتاب الأسرار ـ كتاب الرد على الملحدين ـ كتاب نبأ الحكمة"(١) .

ولم نقع إلا على خمس كتب فقط من هذه الكتب ، يضمها مجموع يسمى المعجز ، ويبدو أن الكثير منها قد فقد ، بسبب إهمال في حفظها ، ولعل الفتنة التي أحدثها الرجل في صفوف الزيدية كان لها النصيب الكبير في هذا الإهمال .

يضم مجموع المعجز المصور بالهيئة العامة للكتاب على ميكروفيلم (رقم : ٢٧٢) عن اصل بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء (١٣٠) علم كلام الكتب الخمسة الآتية :

١ـ كتاب الرد على من جحد الله (من لوحة ٢ ـ ١١) :

أوله : " قال المهدي لدين الله الحسين بن القاسم صلوات الله عليه فإن سأل بعض الملحدين "... وفيه يؤكد حدث العالم وأجسامه وما يتعلق بالجسم من حركة وزمان ومكان ... وآخره : " وان لم اطلب منك فمن اطلب وان لم اهرب إليك فإلى من اهرب وصلى الله على محمد وعلى اله وسلم تسليما " .

٢ـ كتاب الرد على عبدة النجوم (من لوحة ١١ ـ ٢٣) :

أوله : " حسبي الله وكفى ونعم الوكيل والحمد لله الذي ابتدأنا بالهدى واستنقذنا من الضلال "... وفيه يتحدث عن معرفة الله وكيف أن العقل يضطر إليها اضطرارا ، ويهاجم أهل الطبائع ، ويبين حدث الأشياء وينكر قدم الهيولى اليونانية ، ثم يتحدث عن صفات الله ويؤكد أنها الذات لا

---

(١) المحلى : الحدائق الوردية ، جـ ٢ ، لوحة ٦٠. د / احمد محمود صبحي "الزيدية " ص ٥٨٩ .

غيرها ... وآخره : " والحمد لله ولي النعم والفضل والكرم على بُدء نعمه وفضله وكرمه وصلى الله على نبينا ومولانا محمد وآله وسلم تسليما تم كتاب عبدة النجوم " .

٣ــ كتاب الطبائع (من لوحة ٢٣ ــ ٣٠) :

أوله : " بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين " ... وفيه يتحدث عن حدث السماوات والأرض مؤكدا وجود الله ، ويبين فساد قول أهل الطبع ، ويقدم الدليل على صدق الرسل والأنبياء ...وآخره : "ولا يخفى عليه خواطر القلوب ولا تحتجب عنه خفيات الغيوب وصلى الله على سينا محمد واله وسلم".

٤ــ كتاب شواهد الصنع (من لوحة ٣٠ ــ ٧٦) :

أوله : " الحمد لله الذي لا يعذب من حمده ولا يضل عن الهدى من أرشده ولا يخيب رجاء من قصده " ... ويتضمن باب الدلالة على الله عز وجل ــ باب الدلالة على صنع الله في الحيوانات ــ باب الدلالة على نفي الصفات عن الخالق والدليل على قدمه ــ باب الدلالة على نفي الصفات عن الله فاطر السماوات ــ باب الدلالة على التعبد . وبالكتاب سقت من لوحة ٤٠ إلى لوحة ٦٩ ، والأرجح أن هذه اللوحات الساقطة هي من سهو الناسخ إذ أن العلاقة بين اللوحة ٣٩ واللوحة ٧٠ تبدوا منطقية إلى حد كبير ... وآخره"ومن أجاز الإمامة في قريش فقد أجازها في آل محمد عليهم السلام إذ هم خير قريش وصلى الله على محمد النبي وعلى آله وسلم تسليما " .

٥ـ كتاب الرد على الملحدين وغيرهم من فرق الضالين : (٧٦ ـ٩٨)

أوله : " توكلت على الله الحمد لله الواحد القديم الذي لا نهاية لقدمه ولا إحصى لنعمه " ... ويتضمن : باب الرد على الدهرية ـ باب الرد على أصحاب الكمون ـ باب الرد على أهل الإلحاد في التولد ـ باب الرد على أصحاب الطبائع ـ باب الرد على عبدة النجوم ـ باب الرد على الثنوية عبدة النور والظلمة ـ باب الرد على من جحد النبوة ـ باب التوحيد أ باب الرد على الفضائية ـ باب المعرفة ـ باب الرد على من أنكر قول آل محمد صلوات الله عليهم في أن الله شيء لا كالأشياء ـ باب الحقائق ـ باب الرد على من جحد نبوة محمد صلى الله عليه ـ باب الرد على من جحد الإمامة ـ باب الرد على من زعم أن الإمامة بعد النبي صلى الله عليه وآله في ذريته وفي غيرهم ـ باب الرد على الإمامية الرافضة ـ باب الرد على حدث الحيوانات ونهايتها ـ باب الرد على الفضائية ـ باب الرد على الإمامية في صفة الإمام ... وآخره : " وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي ارض تموت وصلى الله على محمد النبي وعلى آله الطيبين وسلم تسليما ، تم كتاب الرد على الملحدين " .

٦ـ كتاب التوحيد والتناهي والتحديد [وهو جزءان] :

الجزء الأول (من لوحة ٩٨ ـ ١١٣) : أوله : " الحمد لله الواحد الذي يوصف ... العظيم الذي جَل عن التحديد العدل الذي تنزه عن ظلم العبي " ... ويحتوي على : "باب الدلالة على معرفة الله سبحانه ـ باب الرد على الجوهرية ـ باب الوحدانية ـ باب الصفات القديمة التي هي الله " ... وآخره : " اللهم يا مولاي إني أشهدك أني برى ممن رفضهم أو رفض أحد

منهم إلى يوم حشر العالمين وصلى الله على محمد النبي وعلى اله وسلم تسليما " .

الجزء الثاني : (من لوحة ١١٣ ــ ١١٦) : أولــه : " حسـبي الله إن سأل بعض المشبهة الضلال فيما يقولون به في الله ويعتقدونه من المحـال " ... ويحتوي على : " الكلام في صفات الله ، من القدرة والإرادة والعلم والحب ... وغيرها من صفات الله تعالى " ... وآخره : " لأنها نفس ليست من الكل والأبعاض ولا من الأجسام والأعراض وسؤلك فإنما هو عن كـل المعلومات والكل فلا يصح إلا ... " وهكذا يبدوا أن آخر الكتاب به نقص .

الفصل الثاني

نزعتـــه الاعتـــزاليـــــة

إن نزعة المهدي الاعتزالية تعد معلم مهم من معالم جوانب التفكير العقلي عند المهدي ، وتتمثل هذه النزعة في عدة أمور منها : قوله بأصلي العدل والتوحيد ، وإلزامه الله سبحانه بفعل الحسن دون القبيح ، إلى جانب أمور أخرى كثيرة تعرضنا لها في مواطن متعددة من هذا البحث ، ولذا سنكتفي هنا بعرض رأيه في كل من أصلي العدل والتوحيد ، ولكننا نسبقه بعرض تاريخي لنشأة الأصول الخمسة وتطورها .

أولاً : الأصول الخمسة نشأتها وتطورها :

إن مصطلح الأصول الخمسة مصطلح اعتزالي خالص نمى في ظل المدرسة الاعتزالية وما إن نضج حتى أصبح العلامة المميزة لكل المعتزلة على الرغم من انقسامها إلى عشرين فرقة [1]. وعلى الرغم من أن كثير من الفرق الأخرى قد تداخلت مع المعتزلة في بعض آرائها وفي ذلك يقول الخياط[2] : " لسنا ندفع أن يكون بشر كثير يوافقوننا في التوحيد ويقولون بالجبر ، وبشر كثير يوافقوننا في التوحيد والعدل ويخالفوننا في الوعد والأسماء والأحكام وليس يستحق أحد منهم اسم الاعتزال حتى يجمع القول بالأصول الخمسة : التوحيد والعدل والوعد والوعيد والمنزلة بين المنزلين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر "[3].

---

(١) الملطي : التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ، تحقيق محمد زاهد الكوثري ، القاهرة ، د.ت ، ص ٤٥ .

(٢) الخياط : هو أبو الحسين عبد الرحيم بن محمد بن عثمان الخياط ، أحد المعتزلة ذوى المكانة الرفيعة ببغداد ، وكان أبو القاسم البلخي وأبو على الجبائي من تلاميذه ، ويبدو أنه ولد في نهاية القرن الثالث الهجري تقريباً (فؤاد سزكين : تاريخ التراث العربي ، جـ٢ ، ترجمة د. محمود فهمي حجازي ، و د. فهمي أبو الفضل ، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٨ ، ص ٤٠٦) .

(٣) الخياط : " الانتصار " ، تحقيق نيبرج ، دار الكتب المصرية سنة ١٩٢٥ ، ص ١٢٧ .

والسؤال الآن هو: متى ظهر مصطلح الأصول الخمسة ؟ والإجابة أن الآراء تعددت إزاء هذا الأمر لكن الذي لا ريب فيه أن واصل بن عطاء هو الذي وضع البذرة الأولى لهذه الأصول الخمسة وفي ذلك يقول الملطي([1]) :" وبالبصرة أول ظهور الاعتزال لأن أبا حذيفة واصل بن عطاء جاء به من المدينة ويقال معتزلة بغداد أخذوا الاعتزال من البصرة وأولهم بشر بن المعتمر (ت ٢١٠هـ) فلقي بشر سعيداً وأبا عثمان الزعفراني فأخذ عنهما الاعتزال وهما صاحبا واصل بن عطاء فحمل الاعتزال والأصول الخمسة إلي بغداد([2]) لكن هذا المصطلح كان غير واضح عند واصل بن عطاء أو صديقه عمرو بن عبيد لأننا لا نجد في تراثهما ذكر له . حقاً إنهم خاضوا في بعض هذه الأصول ولكن لم يعرف مصطلح الأصول لديهما([3]) ثم وضح هذا المصطلح تماماً عند أبي الهزيل العلاف فكتب في الأصول الخمسة بعض فصول كتبه ، ويذكر أنه نص رسالة إلى العامة ما سبقه إليها أحد في حسن الكلام ونظامه يذكر فيها العدل والتوحيد والوعد والوعيد([4]) ومن ذلك الوقت أصبح مصطلح الأصول الخمسة العلامة المميزة لكل معتزلي وفي ذلك يقول المسعودي :" فهذا ما اجتمعت عليه المعتزلة ومن اعتقد ما ذكرنا من هذه الأصول الخمسة كان معتزلياً فأن اعتقد الأكثر أو الأقل لم يستحق اسم الاعتزال ، فلا يستحقه إلا باعتقاد هذه الأصول الخمسة ، وقد

---

(١) الملطي : هو أبو الحسين محمد بن أحمد بن عبد الرحيم الملطي ، أصله من مالطية في عسقلان ، وكان يتبع مذهب الشافعي ، وكان عالماً في الفقه والكلام والقراءات ، توفى بعسقلان عام ٣٧٧ هـ - ٩٨٧ م [فؤاد سزكين : تاريخ التراث العربي ، جـ٢ ، ص ٣٨٢]

(٢) الملطي : " التنبيه والرد " ، ص ٤٣ .

(٣) د. على سامي النشار : " نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام " ، جـ١ ، ص ٤١٦ .

(٤) الملطي : " التنبيه والرد " ، ص ٤٣ .

تتوزع فيما عدا ذلك من الفروع "(1) . وتعصبت المعتزلة لهذه الأصول الخمسة فكتبوا الكتب الكثيرة يتبرعون ممن خالفهم فيها ولو كانوا من آبائهم أو إخوانهم أو عشيرتهم (2) .

وظل الأمر على هذا النحو حتى عصر القاضي عبد الجبار (ت٤١٥ هـ/١٠٢٤م) الذي قدم شرحاً وافياً للأصول الخمسة في كتابه "شرح الأصول الخمسة" إلا أن القاضي في كتابه "المغني" اعتمد على أصلين فقط هما : العدل والتوحيد وادخل ما عداهما فيهما حيث جعل عنوان الكتاب "المغني في أبواب التوحيد والعدل"(3) .

كما أن أبا رشيد سعيد بن محمد النيسابوري(4) الذي خلف القاضي في الدرس وفي رئاسة حلقة التدريس وقف أيضاً عند أصلي العدل والتوحيد (5) وفي ذلك يقول أحمد بن يحي المرتضي :" له تصانيف جيدة منها ....ديوان الأصول وابتدأ فيه بالجواهر والأعراض ثم بالتوحيد والعدل"(6) .

---

(١) المسعودى : " مروج الذهب " ، جـ٣ ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة الإسلامية بيروت ، د.ت ، ص ٢٣٥ .

(٢) الملطي : " التنبيه والرد " ، ص ٤٢ .

(٣) د. سعيد مراد : " ابن متويه وآراؤه الكلامية والفلسفية " ، ص ١٦٩ .

(٤)أبو رشيد سعيد النيسابوري : كان بغدادي المذهب فاختلف إلى القاضي وله تصنيف فدرس عليه وصار من أصحابه ، وإليه انتهت الرياسة بعد قاضي القضاة ، انتقل إلى الري وتوفى بها سنة ٤٥٠ هـ (القاضي عبد الجبار : " المنية والأمل " ، جمع المرتضي ، تقديم وتعليق وتحقيق د. عصام الدين محمد علي ، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية سنة ١٩٨٥ ، ص ٩٧) .

(٥)المرجع السابق .

(٦)المرجع السابق .

وبهذا يتضح أن الأصول الخمسة قد تقلصت على يد متأخري المعتزلة إلى أصلين فقط هما: التوحيد والعدل.

والسؤال الآن هو: لماذا تقلصت هذه الأصول الخمسة إلى أصلين فقط ؟ والإجابة أن هذه الأصول لم تتقلص وإنما الذي حدث أن هذه الأصول استقرت وأخذت شكلها الطبيعي لأن المعتزلة منذ ظهور هذا المصطلح وهي تركز على أصلين فقط هما التوحيد والعدل يؤكد ذلك :

١- إن المعتزلة كانت تحب دائما أن تسمي نفسها باسم العدل والتوحيد وفي ذلك يقول زهدي جار الله :" كثيرة هي أسماء المعتزلة ولكن أشهرها اسمان :أهل العدل والتوحيد وأهل الاعتزال " الأول أطلقوه على أنفسهم ورضوا به اسما لهم والثاني فرض عليهم ولزمهم فاضطروا بقبوله وراحوا يدافعون عنه ويثبتون فضله "(١).

٢- إن أصل التوحيد وأصل العدل يتضمنان أغلب نظرياتهم فضلا عن أن الأصول الثلاثة الأخيرة (الوعد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) لازمة عن أصل العدل(٢).

لذلك نقول أن هذه الأصول لم تتقلص وإنما الذي حدث أن عددا من الفروع التي تفرعت عن أصلي العدل والتوحيد قد تضخمت في فترة زمنية معينة لأنها كانت تمثل المشكلات الرئيسة في تلك الفترة كمشكلة مرتكب الكبيرة ومشكلة وعد الله سبحانه ووعيده ومشكلة الإمامة المتعلقة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهذه كلها ليست أصولا وإنما هي فروع

---

(١) زهدي جار الله : " المعتزلة " ، مطبعة مصر سنة ١٩٧٨ ، ص ١١ .

(٢) د. أحمد محمود صبحي : " في علم الكلام " ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الإسكندرية ١٩٧٨ ، ص ١١٥ .

تفرعت من أصل العدل ولكنها برزت وتضخمت وأخذت شكل الأصل في تلك الفترة ثم انحصرت مرة ثانية وعادت إلى أصلها ولذلك كان من الطبيعي أن تندرج جميعها تحت أصل العدل.

وهذا ما اتجه إليه الإمام المهدي حيث أنه لم يبرز اهتمامه ألا بأصلين فقط هما التوحيد والعدل ثم أدرج مشكلة الوعد والوعيد تحت أصل العدل.

ثانيا : موقف المهدي من اصلي التوحيد والعدل :

(أ) أصل التوحيد(*) :

التوحيد – في نظر المهدي – هو أهم صفات الذات واليه يرد المهدي كل الصفات حيث يقول : "والعلم فهو ذاته ... وكذلك قدرته وحياته لأنه سبحانه لم يزل قادرا حيا سميعا بصيرا قويا ، وسمعه وبصره فهما علمه ، وعلمه فهو قدمه سبحانه ، وقدمه وعلمه حياته ، وحياته قدرته ، وقدرته ذاته ، وذاته حقيقته ، وحقيقته وحدانيته "(1) .

ولكن ما الدليل على أن الله واحد ؟ لما لا يكون – كما يقول الثنوية – اثنان هما اللذين خلقا أشياء العالم ؟ فالنور يخلق كل خير والظلمة تخلق كل شر ومكروه وضرر وليس ذلك باختيار ولكن ذلك بطباع أزلية ؟ هنا يجيب

(*) التوحيد : في اللغة هو ما يصير به الشيء واحد[القاضي عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة ، طبعة مصر الأولى ، تحقيق د.عبد الكريم عثمان ، القاهرة سنة ١٩٦٥م ، ص ١٢٨] . وفي الاصطلاح : " الواحد هو الشيء الذي لا يصح انقسامه إذ لا يقبل الشركة بوجه ، فالبارئ تعالى واحد في ذاته لا قسم له ، وواحد في صفاته لا شبيه له ، وواحد في أفعاله لا شريك له " [الشهرستاني نهاية الإقدام في علم الكلام ، نشر الفرد جيوم ، د . ت . ص ٩٠].

(١) كتاب الرد على عبدة النجوم ، لوحة ٢١ يمين .

المهدي بقوله : " أنكرنا ذلك من وجوه شتى أولها انك لا تخلو في قولك هذا من أحد وجهين : إما أن تكون قلته تظننا وتوهما وإما أن تكون قلته بدرك ويقين . فان قلت انك رايتهما رأى العين يخلقان أحلت ، وان قلت بلى ظننت وتوهمت فقد قال الله عز وجل : { إن الظن لا يغني من الحق شيئا }. وان قال وهو قائل لاشك حجتي على ذلك أني نظرت في العالم خيرا وشرا فقضيت على أن الخير والشر من اصلين أحدهما فاعل خيرا والأخر فاعل شرا ولا يمكن أن يأتي بالخير من يأتي بالشر ولا يمكن أن يأتي بالشر من يأتي بالخير . قيل له ولا قوة إلا بالله : قولك هذا تظنين وتوهم ويستحيل من وجوه شتى : أولها أنا وجدنا فاعل الخير والشر واحدا ولو كان كما توهمت لما احسن محسن ولا اعتذر مذنب ولا تاب مخطئ إذ زعمت انه لا يأتي بالخير ... أبدا "(1) .

"ودليل أخر يقال لهم ما العلة التي أوجبت تمازجهما بعد مباينة كل واحد لصاحبه فان قلتم أن الظلمة بغت على النور أوجبتم حدث حركة لاقت بينهما وإذا حدث بينهما حادث فهما على حالين محدثين وهما الحركة والسكون وما كان من الأشياء متحركا أو ساكنا فهو مضطر إلى الحركة والسكون ...لابد له من صانع اضطره إلى الحوادث بناه عليها "(2) .

وحتى لو افترضنا وجود الهين فأنهما يستحيل أن يتفقا : " فان قال ــ قائل ــ وما أنكرتم من اتفاقهما ؟ قيل له ولا قوة إلا بالله لو اتفقا في العلم والجهل والقدرة والعجز فان كان كل واحد منهما يقدر على إخفاء فعله وخلقه في سماواته وأرضه عن صاحبه خرجا جميعا من العلم وصارا

---

(1) كتاب الرد على الملحدين ، لوحة ٨٦ شمال .

(2) المصدر السابق ، لوحة ٨٨-٨٩.

جميعا إلى الجهل إذ كان كل واحد منهما جاهل بما يخفى عن صاحبه من الفعل . وان كانا لا يقدران على إخفاء كل واحد فعلا بفعله عن خرجا من صفات القدرة إلى العجز إذ كان كل منهما لا يقدر أن يخفي فعله عن الآخر وإذا كان عاجزين جاهلين صح انهما مخلوقان ، وإذا كان أحدهما يقدر على إخفاء فعله والآخر لا يقدر ثبتت الروبية للعالم القادر والمربوب هو العاجز الجاهل لعجزه عن قدرة خالقه إذ لابد للعاجز من معجز أعجزه ومنعه"(١) .

ثم انهما لا يمكن أن يتفقا لأنهما لو اتفقا فلا يخلون من أحد وجهين : إما أن يكونا اتفقا من قبل ذلك ، فان كانا اتفقا من بعد ما تضادا فاتفاقهما ذلك لحاجة وضرورة وخوف فالخائف المضطر المحتاج مخلوق ضعيف عاجز والخالق فلا يكون بهذه الصفات موصوفا ولا بمضادة الأمثال معروفا ، فإذا كانا اتفقا من قبل الاختلاف فما حداهما إلى الاتفاق ؟ فان قلت خوفا من الاختلاف فالخائف ضعيف وعاجز محتاج إلى معين وشريك ، والخائف من النوازل والملمات لا يكون إلا مضطرا إلى الخوف مدفوعا وعن القدرة بالعجز ممنوعا . وان قلت انهما اتفقا لغير معنى كان ذلك من اعظم العيوب وأولى ما ينزه عنه علام الغيوب لان الأفعال لا تكون إلا للمعاني أو للعبث والسفه والهوى والخالق لا يعبث ولا يهوى لأنه غني عنهما "(٢).

وهكذا تبدوا العلاقة بين الوجود والله - من جهة صفة التوحيد - علاقة وجود مخلوق بإله واحد لا يقبل الشركة ، إذ لو وجد له شريك لترتب عليه محال ينتفي معه وجود الكون .

---

(١) كتاب التوحيد والتناهي والتحديد، لوحة ١٠٨ .

(٢) كتاب الرد على عبدة النجوم ، لوحة ٢١ يمين .

(ب) العدل :

يرى المهدي أن " وحقيقة عدله ــ سبحانه ــ إحسانه فمن وصفه بالإحسان فقد عدله ومن نسب إليه القبيح فقد جوره "(١) وحقيقة عدله انه غني عن الجور غير محتاج إليه وانه عالم بقبحه ، وإذا كان عالما بقبحه غنيا عنه لم يفعله "(٢).

ولكن الله سبحانه قد كلف الإنسان بتكاليف شرعية كثيرة ، فهل يستقيم هذه التكاليف مع العدل الإلهي ؟ هنا يجيب المهدي بأن : " حقيقة عدله في البلوى تكليف ما يطاق ، وحقيقة عدله في التكليف إظهار الحسن من أفعال عباده ، وإظهار الحسن لان إظهار الحسن عاقبة حسنة من ثوابه "(٣) فان قال قائل ولكن هذه التكاليف قد تكون ثقيلة : " فلم كلفهم ما يستثقلون ؟ قيل له ولا قوة إلا بالله للفرق بين المطيعين والعاصيين . فان قال ولم فرق بين المطيعين والعاصيين ؟ قيل له ولا قوة إلا بالله : ليميز بين الخبيث والطيب إذ ليس من صفة الحكيم أن يجعل المصلح والمفسد سواء في محل واحد . فان قال فلما خلقهم وقد علم بإفسادهم ؟ قيل له ولا قوة إلا بالله لان خلقه لهم حسن وفعلهم قبيح ولم يكن الحكيم ليترك فعل الحسن من صنعه لقبح فعل غيره "(٤).

" فان قال : ولم يظهر الحسن ؟ قيل له ولا قوة إلا بالله : لان إظهار الحسن خير من تركه . فان قال ومن أين كان إظهار الحسن خير من تركه؟

(١) المصدر السابق .

(٢) المصدر السابق ، لوحة ٢٢ يمين.

(٣) المصدر السابق ، لوحة ٢١ شمال .

(٤) كتاب شواهد الصنع ، لوحة ٧٤ شمال.

قيل له ولا قوة إلا بالله لأنه لم يكن بد من أحد المعنيين : إما تركـــه وإمـــا فعله ، فتركه ليس من صفة الحكيم ، وفعله أولى بالحكمة "(١).

ولكن هل يستقيم عدل الله مع خلق الكافر ؟ هنا يـــرى المـــهدي أن : "حقيقة عدله في خلق الكافر انه لم يخلق كفره بل نهاه عنه وزجره وأوعده على فعله وحذره "(٢).

فكيف يخلق الله من علم بأنه سيعصيه ؟ إجابـــة المـــهدي هنـــا أن : "حقيقة حكمته في خلقه لمن علم بمعصيته أن خلقه لجسم العاصي وعقلـــه وحياته بعد موته وإيجاده بعد عدمه حكمة جليلة ونعمة عظيمة وفعل النعمة والحكمة خير من تركها ، وأيضا فليس يجب على الحكيم أن يترك الحســـن من فعله لعلمه بقبح القبيح من فعل غيره ، وليس علمه بمعصية العـــاصي يدخله في معصيته ولا علمه بخير المطيع يجبره على طاعته ، وليس يثيب ويعاقب على علمه وإنما يثيب العبد أو يعاقبه بفعله ، لان العلم هو الله عـــز وجل وليس يثيب الله على نفسه وإنما يثيب العبد على حسن فعله وطاعتـــه "(٣).

فان قال قائل فلم لم يجبر عباده على الطاعة كلهم ؟ قيل له ولا قوة إلا بالله : لأنه لو جبرهم على الطاعة لكانت الطاعـــة فعلـــه لا فعلـــهم ولمـــا استحقوا المدح على فعل غيرهم(٤).

---

(١) المصدر السابق ، لوحة ٧٥ يمين

(٢) كتاب الرد على عبدة النجوم ، لوحة ٢١ شمال.

(٣) المصدر السابق ، لوحة ٢١ – ٢٢.

(٤) المصدر السابق ، لوحة ٢٢ يمين

وحقيقة عدله في سقم عباده وأمراضهم وموتهم أن المرض والألم يدعو إلى الخوف من العذاب والخوف يدعو إلى النعمة والثواب ولو آمنوا الموت والأسقام وشفوا من الأمراض والآلام لعظمت ذنوبهم ولهلك بسبب الأمان أكثرهم ولقل خوفهم وهاهم اليوم مع قصر أعمارهم قد عظم هلاكهم وجل ظلمهم وضلالهم فكيف لو أهملهم من ذلك وأنظرهم ولكنه جاد علينا بذلك لعلمه بضعفنا[1].

وحقيقة عدله في ذبح البهائم وإحلالها أن لها على ذلك ثوابا في أخرتها ، وليس ألم البهائم إتعابها إلا دون ألم الأخيار وموتها "[2]. أما ما زعمه بعض أهل الحيرة والعمى ومن لم يعطى من التوفيق عطية الحكماء من أن : " البهائم تكون بعد الحشر ترابا ولا يجعل الله على آلامها ثوابا ، وإنما يقول بهذا من جهل حكمة الواحد الرحمن ولم يوقن برحمته حقيقة الإيمان وقذفه بالجور والعدوان ، ولو كان الأمر في البهائم على ما وصف الجهال وقال به الكفرة الضُلال لم يخل في إماتته لها من أحد وجهين : إما أن يكون عدلا في إماتتها مرتين ويثيبها على بعثها ثوابين بعد أن يحشوها في الآخرة حشرين ، وهذا محال عند ذوي العقول فاسد في الاعتقاد والقول ، وإما أن يكون جائرا كما زعموا فيعذبها عذابين بعد أن أحياها كرتين ، فكيف يكون عدلا إذا آلمها وامتحنها بعد الحشر فاعدمها ومن عذب في الآخرة والأولى بغير ذنب لم يكن عدلا فقذفوا الله تبارك وتعالى وأخرجوه من الحكمة جهلا "[3].

---

(١) المصدر السابق ، لوحة ٢٢ يمين.

(٢) المصدر السابق .

(٣) كتاب الطبائع ، لوحة ٢٨ شمال.

وأعتقد أن المهدي هنا قد فارقه الصواب ، إذ انه يربط إثابة البهائم بالموت الذي يقع عليها مرتين ، ولو كان الأمر كذلك لوجب إثابة الكفار ومعاقبتهم ، معاقبتهم على كفرهم وعصيانهم وإثابتهم على إماتتهم مرتين ، فهل يقول أحد من أهل ملة الإسلام بذلك ؟!

ومن لوازم عدل الله سبحانه صدق الوعد والوعيد : " وسألت عن الدليل على دوام التخليد ، والجواب في صدق الوعد والوعيد أن الحكيم رؤف وإبطال الجنة وأهلها من اكبر الفساد والحكيم لا يقطع ثوابه عن أوليائه لأنه إن قطع ثوابه فقد ظلمهم وعبث في خلقه فأهلكهم والله يتعالى عن العبث والفساد ويجل عن ظلم العباد لان أهل الجنة صبروا على محن الحكيم والصبر محمود عند كل رحيم .

وأيضا فأن الحكيم لا يظهر الحكمة للعبث والفناء ولكنه جعل ذلك للبقاء وقد احسن أهل الجنة بالطاعة والإيمان فهل يجازى أهل الإحسان بغير الإحسان ، اجل انه لبعيد عن ذلك واكرم من يكون كذلك .

وأيضا فانه شكور للمطيعين والشكور لا يقطع شكره عن الشاكرين ولا يهلك عباده المؤمنين ، ألا ترى أن حكيما من حكمائنا لو انعم بنعمة ثم سلبها وانتزعها عن المنعم عليه وأذهبها لما سميناه مع هذا الفعل الدني حكيما ... والضار عند الخلائق مذموما ... فكيف بأحكم الحاكمين وارحم الراحمين واشكر الشاكرين وخير الغافرين .

فان قال بعض الجهال الملحدين الكفرة الفجرة الجاحدين فلم زعمتم انه لا يرحم أهل النار ولا ينقلهم إلى دار الأبرار ؟ قيل له ولا قوة إلا بالله العظيم لان إخراج الفاسقين من العذاب الأليم إلى الجنة والثواب الكريم

يدعوهم إلى البطر والفساد والى ما كانوا فيه من الكفر والعنـــاد والعبـث والظلم للعباد وذلك قول الواحد الرحمن فيما نزل من محكم القرآن : { ولـو ردوا لعادوا لما نوهوا عنه وانهم لكاذبون}[الأنعام / ٢٨] فكيف لا يستحق هؤلاء الفاسقون ما صاروا إليه من العذاب المهين مع مـا علـم الله مـن كفرهم وفسادهم وفجورهم وعنادهم حتى انه لو أخرجهم من العذاب لعـادوا لما نهوا عنه من الأسباب ...

فان قال قائل أو سأل من الملحدين سائل فكيف لا يهلكـــهم ويعدمـــهم ويميتهم في النار ويبليهم ؟ قيل له ولا قوة إلا بـــالله : لأنـــه لــو أماتـــهم وأهلكهم لأخلف وعده في تخليدهم والحكيم لا يكذب في وعده فيكون ناقصـا عند جميع عبيده . وأيضا فانه لو أهلكهم لكان الموت راحة لـــهم ولكـان تخفيفا عليهم وتخليصا لهم من العذاب وتفريجا من كـرب العقـاب فكيـف يفرج الحكيم عن من قتل أنبياءه وظلم رسله وأعان على دينـــه وأعـداءه "(1).

تعقيب :

إن مفهوم الإمام المهدي لأصلي العدل والتوحيد - كما هو الحال عنـد أئمة الزيدية والمعتزلة - مفهوم خاطئ لأنه قائم على تصورات ذهنية بعيدة كل البعد عن النص المنزل الذي ينبغي أن نلتزم به عند حديثنا عن ذات الله سبحانه لأنه سبحانه اعلم بذاته منا ، ولهذا وجدنا المهدي يقع في الكثـير من الأخطاء وسوء الفهم للكثير من القضايا المتعلقة بـــذات الله وصفاتـه وأفعاله مثل :

---

(١) المصدر السابق ، لوحة ٢٩ -٣٠.

١- رأيه أن من لوازم التوحيد نفي رؤية الله في الدنيا والآخرة .

٢- التوحيد بين الذات والصفات يترتب عليه القول بذات مجردة لا يمكن أن يكون لها وجود خارجي ، بل إن وجودها لا يتعدى التصور الذهني فقط .

٣- أن تصوره لمفهوم العدل تصور قاصر فيه تعطيل الصفات الأخرى كالرحمة والمغفرة والحب والمودة ، إلى جانب إنكار ألطاف الله (1) وشفاعة نبيه صلى الله عليه وسلم . والتصور الصحيح أن مفهوم العدل لا يوجد مستقل عن الصفات الأخرى بل مصاحبا لها ، ولقد برز هذا المفهوم في قول الله سبحانه : { إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء}[النساء / ١٤٨] .

---

(١) اللطف عون الهي يأتيه الله للإنسان على سبيل المنحة [يوسف كرم : المعجم الفلسفي ، ط مصر الأولى سنة ١٩٦٦م ، ص ١٤٣]

الفصل الثالث

نظريتـــه في المعرفـــة



إن دراسة نظرية المعرفة عند الإمام المهدي الحسين بن القاسم تمكننا من فهم كافة جوانب فكره وتضع أيدينا على محور نزعته الفلسفية . وسيدور عرضنا لمذهبه في المعرفة على عنصرين أساسيين هما : إمكان قيام المعرفة ، وكيفية معرفتي للأشياء من حولي . وهذان العنصران هما محور البحث في نظرية المعرفة ، إذ ليس المعرفة إلا إجابة على سؤالين لا ثالث لهما هما : هل يمكن أن نعرف شيئا ؟ ، وإذا عرفنا شيئا فكيف نعرف هذا الشيء ؟

أولا : إمكان قيام المعرفة :

أخذت الإجابة على سؤال إمكان قيام المعرفة طابع الفردية عند السوفسطائيين الذين أنكروا التفرقة بين الحس والعقل وذهب بروتاجوراس (٤٨٠-٤١٠ ق.م) إلى القول بأن : ما يبدوا لي على أنه حق فهو حق بالنسبة لي وما يبدو لك على انه حق فهو حق بالنسبة لك، إلا أن ذلك يعنى أن ما يبدو وما يظهر هو الحق أو انه ليست هناك حقيقة سوى الظاهر ، ومن ثم اتحدت الحقيقة مع المظهر وأصبحت شيئاً واحداً (١). ولما كانت الطبيعة كلها في تغير دائم ، وتغير بين الأضداد لم يكن في الإمكان بعد ذلك إطلاق صفة معينة على شيء (٢) ولقد قادتهم نزعتهم النسبية هذه إلى الذاتية .

ومذهب السوفسطائيين هذا فيه ضياع للحق وإنكار للمعرفة وذلك أمر طبيعي ما دام الإنسان مقياس الأشياء جميعاً هو مقياس وجود ما يوجد

---

(١) د.إمام عبد الفتاح إمام : مدخل إلى الفلسفة، دار الثقافة – القاهرة ط ثانية ، سنة١٩٧٤ص٢٤٢.

(٢) د. مراد وهبه : المذهب في فلسفة برجسون:ط ثانية مكتبة الأنجلو –مصر ١٩٧٨ص١٥.

منها ومقياس لاوجود مالا يوجد[1] ومن ثم فقد عبر جورجياس عن هـذا المذهب احسن تعبير حين قال إنه "لا يوجد شـيء"[2] . ولقـد اسـتطاعت السوفسطائية بنقائصها هذه أن تغتصب مكانها في الوعي العادي اليونـاني حيث سيطرت على الحياة والمعرفة[3].

وكان طبيعياً أن يأتي الإمـام المـهدي - كمفكـر مسـلم يعـترف بموضوعيه الحقيقة - لكي يواجه مشكلة من اخطر المشكلات التي ينظـر إليها المسلم على أنها من الأمور الإعتقادية إلا وهى مشكلة إمكـان قيـام المعرفة ، ذلك أن النظر في الكون هو طريق الإيمان بالله ووحدانيته وربـو بيته . ولهذا السبب كان طبيعيا أن يقوم الإمام المهدي بالرد على المتجاهلة الذين أنكروا الحقائق لشبهٍ وقعت في نفوسهم قالوا : " لان النائم لا يصـح منامه إذا استيقظ والظل في الماء والمراية لا يصح إذا طلب ، فلعـل هـذه الأشياء التي تذكرون ستبطل كما بطل غيرها ؟ "[4] . وهنا يتصـدر لـهم المهدي مبينا لهم فساد عقيدتهم بقوله : " أنكرنا ذلك لان مـا بطـل مـن الأشياء إنما بطل لعلة وذلك انه لا حقيقة لعلل النائم وإنما صح عنده الباطل في حال تغير عقله وبطل عنده الباطل في حال صحة عقله حين استيقظ مثل رجل رأى في منامه انه مقطوع اليد ثم انتبه في منامه فلم يجد فيمـا رأى حقيقة وذلك انه إنما رأى ذلك في صحة من عقله لما بطل ذلك بلا حقيقـة فبطل ذلك عنده حسن عقل ولو انه رأى ذلك إلا يرى انه لو رأى في منامه

---

(١) يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية ، طبعة دار العلم للملاين ، بيروت ، د . ت ،ص٤٦.

(٢) د . عبد الرحمن بدوي : ربيع الفكر اليوناني ، ط ٥ ، دار القلم بيروت ، سنة ١٩٧٩م ، ص ١٧٦.

(٣) Edward zeller : outlines of the history of Greek . Translated with the author's sanction . New York henry Holt and company 1908. p . 42

(٤) الرد على الملحدين ، لوحة٨٧ شمال .

انه قتل وصلب بطل ذلك عند يقظته ولو انه قتل في حال صحة عقله ويقظته لما بطل ذلك عنده إلى يوم القيامة "[1] .

فإذا ما سئل عن الدليل على حقائق الأشياء ؟ قال : " وجودها مبرأة من عوارض العلل التي تعرض دون دركها "[2] . فإذا ما قيل وما هذه العوارض التي تمنع من درك الحقائق ؟ أجاب : " من ذلك النوم وزوال العقل وتغير الحواس "[3]. وهذا يؤكد أن للأشياء حقائق .

فان قال قائل :" فما حقيقة الجسم ؟ قيل له وجوده بذاته مرئيا مدركا تحويه الجهات الست الفوق والتحت واليمين والشمال والخلف والأمام . فان قال وما حقيقة العرض ؟ قيل له ولا قوة إلا بالله : وجوده بحيث احله الله من الأجسام . فان قال فما حقيقة الحس ؟ قيل له : دركه الحاسة للمحسوس . فان قال فما حقيقة الحركة ؟ قيل له ولا قوة إلا بالله : وجود العضو المتحرك زائل عن اللبث . فان قال فما حقيقة السكون ؟ قيل له ولا قوة إلا بالله : وجود العضو الساكن لابث غير زائل "[4].

فان قال فما حقيقته الله في ذاته ؟ قيل له ولا قوة إلا بالله : مسألتك تحتمل وجهين : إما أن تكون أردت حقيقة ذاته ، وإما أن تكون أردت الدلالة على وجوده . فان كنت أردت ذاته فحقيقته ذاته وذاته حقيقته . وان كنت أردت الدلالة على حقيقته فالجواب في ذلك : أن وجود وصنعه يدل على انه شيء حق ، وليس عندنا من الجواب في المسألة إلا ما ذكرت لك

---

(١) المصدر السابق .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق ، لوحة ٨٧ – ٨٨ يمين .

(٤) المصدر السابق ، لوحة ٨٨.

إذ كل شيء موجود مدرك محسوس تعرف حقيقته بذاته والله لا يعــرف إلا بما اظهر من حكمته . وحقيقته قدمه وهو حقيقة ذاته وكذلك غير القدم من صفاته كعلمه وقدرته وحياته ... فان قيل : فما هو ؟ قيل له ولا قوة إلا بالله مسألتك تحتمل ثلاثة اوجه : إما أن تكون سألت عن اسمه ، وإما أن تكــون سألت عن صفته ، وإما أن تكون سألت عن ذاته . فان كنت ســـألت عــن اسمه فهو الله الرحمن الرحيم . وان كنت سألت عن صفته فـــهو الواحــد القديم القدير العليم . وان كنت سألت عن ذاته فهو الذي ليس كمثله شـــيء "[1] . وهكذا يعترف الإمام المهدي ــ كمفكر تأثر بالنزعـــة الإســلامية ــ بواقعية الحقيقة ، وهو في ذلك يحترم الواقع بجزئياته المتعينة كل الاحترام ويؤكد في الوقت نفسه على ضرورة استقلال المعرفة الواقعية ، وهو فـــي هذا يخالف المفكر اليوناني الذي انطلق في تفسيره للوجود من تصـــورات ذهنية وانساق فكرية مسبقة وذلك عند أســحـــاب الاتجــاه العقلــي ، أمـــا السوفسطائيون فقد أنكروا أن للأشياء حقيقة في ذاتها[2] .

---

(١) المصدر السابق ، لوحة ٩٢ .

(٢) د. سعيد مراد : ابن متويه وآراؤه الكلامية والفلسفية ، مكتبة الأنجلو المصريـــة ، القـــاهرة ســـنة ١٩٩١ ، ص ١٨٣ .

ثانيـا : مصـادر المعرفـة :

تتنوع مصادر المعرفة عند الإمام المهدي ــ شـأن غالبيـة مفكـري الإسلام ــ بين الحس والعقل والخبر ، وان كان يفارق الكثير من مفكـري الإسلام في انه يعطي العقل مكان الصدارة بين هذه الوسائل بصـورة لـم يسبق لها مثيل مما يجعله صاحب نزعة فلسفية تميزه عـن الكثـير مـن المتكلمين على نحو ما سنبين :

(أ) الحس :

يعرفنا الإمام المهدي بحقيقة الحس فيقول : درك الحاسة للمحسـوس "(١) ، وهو خمسة أنواع في الحواس الخمس ، وفي ذلك يقول : "ثم جعـل لنا حواسا خمسا عيانا وسمعا وذوقا وشما ولمسا ، فجعل العيـان لـدرك الهيئات والأسماع لدرك الأصوات والذوق لدرك المطعومات والشم للروائـح المختلفات ... وجعل اللمس لدرك أعراض المجسمات مـن الحـر والـبرد واللين والخشونات "(٢).

وهذه الحواس هي هبة الله ودليل حكمته وذلك أنـا إذا نظرنـا إلـي الإنسان " حيا بعد أن كان ميتا سميعا بصيرا بعد أن لـم يكـن سـميعا ولا بصيرا فان صنع العالم الحكيم إذ جعل سبحانه سمعا يدرك بـه الأصـوات وبصرا يدرك الهيئات وشما يدرك به جميع الروائح الخبيثـات والطيبـات وذوقا يذوق به ما ذاق من الطعوم المختلفات ، ولمسا بالجسد كله يدرك به الحر والبرد والخشن واللين وغيرهما من الأحوال المجسمات فكـل هـذه الأحوال المختلفة تدل على حكمة صانعها إذ خالف بينها فجعل كـل حاسـة

---

(١) الرد على الملحدين ، لوحة ٨٨ .

(٢) الرد على من جحد الله ، لوحة ١٠ شمال .

تصلح لخلاف ما تصلح له الأخرى "(1). وكل هذا لمصلحة الإنسان من بـلب أن الله دائما يختار الأصلح له ، وفي ذلك يقول : " وما شق لهم سبحانه من السمع والأبصار والأفئدة للتميز والأفكار ولاجتلاب المنافع والنفور عن المضار ، وما خلق لنا سبحانه من الحواس الخمس من العيان والسمع والذوق والشم واللمس ، فجعل العيان لدرك الهيئات وجعل السمع لدرك الأصوات وجعل المشام لدرك الروائح المختلفات وجعل الذوق لدرك المطعومات وجعل اللمس لدرك أحوال المجسمات "(2) .

ولكن المهدي لا يسلم لمعارف الحواس هكذا بغير شروط ، انه لا ريب يقبل معارفها ولكنه بشرطين :

الشرط الأول : أن تكون الحاسة سليمة خالية من الآفات ، فإذا ما كانت كذلك أمكنها معرفة الحقيقة ، وفي ذلك يقول : " فان قال فما العوارض التي تمنع من درك الحقائق ؟ قيل له ولا قوة إلا بالله : من ذلك النوم وزوال العقل وتغير الحواس"(3). فإذا ما زالت هذه العوارض عن لحواس أمكنها أن تقدم معارف يقينية .

والشرط الثاني أن تستعمل الحواس في موضوع بحثها الذي هو الواقع المشاهد أو الموجود العيني ، فإذا ما أريد بها معرفة كنه الله أو التعبد :" ولم يكلنا إلى ذلك - أي الحواس والعقول - دون أن يرسل إلينا الرسل والنبيين مذكرين لنا من الغفلة ومخيرين لما خلقنا له من النعيم والفضل من الله والكرم والتعبد للفرق بين المتعين والعاصيين إذ لم يكن من حكمة

(1) الرد على الملحدين ، لوحة ٧٩ شمال .

(2) التوحيد والتناهي والتحديد ، لوحة ١٠٠ يمين .

(3) الرد على من جحد الله ، لوحة ، ١٠ شمال .

الحكيم أن يساوي بين المحسنين والمسيئين "(١) . ويقول لمن سأل على عدم رؤية الله بالحواس : " فكيف نعتذر بان لا نراه ؟ قيل له ولا قوة إلا بالله : اعلم إيه السائل أنا لو رأيناه لما عبدناه وذلك أن الإبصار لا تقع إلا على مفترق أو مجتمع ولم يستدل على الله إلا بالمفترق والمجتمع لأنهما محدثان ولا بد للمحدث من خالق أحدثه ولا بد أن يكون بخلافه من جميع المعاني "(٢).

(ب) العقل :

يعرف المهدي العقل بأنه العلم فيقول : " والعقول هي العلم "(٣). وعلم العقل نوعان : أحدهما ضرورية مفطورة في الإنسان ، لا تحتاج إلى وقت في تعلمها مثل معرفة الله وفي ذلك يقول : " فآي دلائل على الله ما ادلها واعظم قدرها واجلها لقد بهرت عقل من عرفها من المؤمنين ودلت من أيقن بالله من المستدلين واضطرت العقول إلى رب العالمين "(٤). أو قد لا تولد مع الإنسان بل تكون عن طريق الخبرة الحسية أو درك إحدى الحواس الخمس(٥). وعلى الرغم من أن هذا النوع من الضروريات يحتاج إلى الزمن إلا انه متى حصل في الذهن صدق به الذهن اضطرارا من غير أن

---

(١) المصدر السابق ، لوحة ١٠ شمال .

(٢) شواهد الصنع ، لوحة ٧٤ يمين .

(٣) شواهد الصنع ، لوحة ٧٤ شمال .

(٤) الرد على عبدة النجوم لوحة ١١ يمين.

(٥) الإمام حميدان : تنبيه الغافلين على مغالط المتوهمين ،ضمن مجموع رسائل حميدان بن حميدان المصور بالهيئة العامة للكتاب على ميكروفيلم رقم (٢٢١٩) عن اصل بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء / الكتب المصادرة ، لوحة ٢١ يمين .

يشعر بمصدر استفادته هذا التصديق ، بل يقدّر كأنه كان عالما بـــه علـــى الدوام (١). " كمعرفة الأرض والسماء وغيرهما من الأشياء "(٢).

والثانية مكتسبة ، وهي تلك العلوم التي تصدر عن الحـــس والعقـــل ، وهي تكشف عن مجهود لا يقتصر على استنباط نتائج متضمنة في مقدمات على نحو ما كان عليه الفكر الارسطي في مجموعه ، ولكن تقوم على نــوع من المعاناة بين الذات العارفة وموضوعها الذي له وجود خارجي متعيـــن من اجل التعرف على حقيقته ، وهذا يسبب معاناة للباحث مصدرهـــا قلـــة الخبرة وفي ذلك يقول : " لأنهما مع جهلهما وقلـــة خبرتـــهما لا يعلمـــان المنافع والمضار إلا بعد طول تجربتهما ، والتجربة ربما كان فيها الـــهلاك والتدمير وبطلان الحكمة والتدبير فمن اجل هذا أوجبت أن يكونـــا معلميـــن ولجميع أسباب الحكمة ملهمين "(٣)، ويقول أيضا : " وأيضـــا فـــان طـــول المحن والتجارب اعظم من الغفلة عن العجائب لفضل الحكمة والمعرفة على الجهل ولما في التجارب من لقاح العقل "(٤)، ويقول أيضا وصحة الخـــبرة أولى من وساوس الحيرة "(٥).

وهكذا تبين المهدي قيمة طول الخبرة وهي فكرة مهمة لأنها تبين انـــه كلما كان زمن ممارسة البحث والتقصي أطول كلما كـــان الوصـــول إلـــى الحقيقة أسرع وايسر .

---

(١) العراقي : ثورة العقل في الفلسفة العربية ، ط ٥ ، دار المعارف ، القاهرة سنة ١٩٨٤م ، ص٤٩.

(٢) الرد على عبدة النجوم ، لوحة ١٢ شمال .

(٣) الطبائع ، لوحة ٢٦ يمين .

(٤) الرد على الملحدين ، لوحة ٩٥ شمال.

(٥) الرد على من جحد الله لوحة ٨ شمال .

هذا عن دور العقل فيما يتعلق بموضوعات عالم المشاهدة ، أما فيما يتعلق بموضوعات عالم الغيب فان المهدي يعطي للعقل دورا كبيرا في معرفة وجودها دون كنهها بل له عنده في ذلك مكان الصدارة يسبق في ذلك دور الخبر المنزل ، " أما السبيل إلى معرفة الله القدير فالعقل المختبر للأمور "(١). ويقول لمن سأله عن العلة في عدم رؤية الله بالأبصار : "فكيف نعتذر بان لا نراه ؟ قيل له ولا قوة إلا بالله : اعلم إيه السائل أنا لو رأيناه لما عبدناه وذلك أن الإبصار لا تقع إلا على مفترق أو مجتمع ولم يستدل على الله بالمفترق والمجتمع لأنهما محدثان ولا بد للمحدث من خالق أحدثه ولا بد أن يكون بخلافه من جميع المعاني . فان قال فبما عرفته ؟ قيل له ولا قوة إلا بالله بما هو أولى وأحق من الأبصار واصدق من جميع الأخبار . فان قال وما ذلك ؟ قيل له ولا قوة إلا بالله : ذلك العقل الذي لا يجوز عليه المحال ولا يقبل ما فسد من المقال ، فلو أدركنا صنع جميع الأشياء بمشاهدة رأي أعيننا لما كان ذلك أبدا مثل العقل "(٢) .

ولا يقف دور العقل عند المهدي عند هذا الحد بل يمتد الي مجال الفعل الإنساني فيرى أن العقل هو طريق الهداية حيث يقول: "وأعطاهم العقول فهداهم "(٣) وذلك أن هذه العقول جعلت "لتمييز الأمور ومعرفة الخيرات والشرور "(٤) ، وذلك يمكنها من اجتلاب المنافع ونفي المضار ، وفي ذلك يقول : "وجعل العقول المميزة التي لولا هي لهلك المخلوق فجعلها لاجتلاب

(١) الرد على عبدة النجوم ، لوحة ١٢ شمال .

(٢) شواهد الصنع ، لوحة ٧٤ يمين .

(٣) المصدر السابق ، لوحة ٣٦ شمال .

(٤) الرد على من جحد الله ، لوحة ١٠ شمال .

المنافع ونفي المضار ومعرفة الخيرات والشرور واستخراج عجائب الأمور"(1) .

إذن يعطي المهدي للعقل سلطة مطلقة في مجال المعرفة والسلوك الإنساني ، ولكن هل معنى ذلك أن العقل معصوم من الخطأ ؟ الحقيقة الآن المهدي ــ كما توضح نصوصه السابقة ــ يميل إلى عصمة العقل .إذن انه قادر على معرفة الحق في علم الغيب والشهادة وعلى معرفة الخير والشر في عالم الإنسان ، وهذا القول يقدنا حتما إلى الاعتقاد بالحقيقة المطلقة بين جميع العقول ، وهذا الاعتقاد يثير مشكلتين :

المشكلة الأولى تتعلق بتساوي العقول بين جميع الناس : فهل العقول متساوية بين جميع الناس ؟ والإجابة عند الإمام المهدي أن العقول ليست كذلك بل متفاوتة غاية التفاوت ، وفي ذلك يقول في كتاب الإقناع والتسديد : " أن اختلاف عقول الناس كاختلاف قواهم فما كانت قوته تبلغ أداء الفرائض وجبت عليه ومن لم يطق فلا يكلفه الله ما يعدم بدنه ولا يصل بقوته إليه ، وإنما العقول على وجوه معروفة وأحوال بينة موصوفة منها عقول سادتنا الملائكة المقربين عليهم السلام ، ومنها عقول الأنبياء المقربين وعقول الأوصياء المستخلفين وعقول الأئمة الطاهرين وبعد ذلك عقول المكلفين . فافضل العقول عقول الملائكة الأكرمين ثم عقول الأنبياء اكمل من عقول الأوصياء ثم عقول الأوصياء اكمل من الأئمة في العقول وافضل في الاعتقاد والقول ثم السابقين من (الفضيلة) على المقتصدين كمثل فضل الأنبياء على الوصيين وللائمة المقتصدين من الفضل ما لا يكون لفضل المؤمنين ، وافضل الناس كلهم وأكملهم دينا وعقلا محمد صلوات الله

---

(1) شواهد الصنع ، لوحة ٣٥ – ٣٦.

عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين "(1) ، وهذا القول يؤدي بالمهدي إلى نوع من التناقض إذ القول بالعقول المتفاوتة يتنافى تماما مع القول بالحقيقة الثابتة المطلقة ، ولا يستقيم وتلك المكانة التي أعطاها المهدي للعقل .

المشكلة الثانية " بالرسل والأنبياء ": لأنه إذا كان العقل هو طريق الهداية والمميز للخير والشر فما فائدة الرسل والأنبياء ؟ يقول المهدي في حاجتنا إلى الرسل : " ولم يكلنا إلى ذلك - أي الحواس والعقول - دون أن يرسل إلينا الرسل والنبيين مذكرين لنا من الغفلة ومخيرين لما خلقنا له من النعيم والفضل من الله والكرم والتعبد للفرق بين المتعين والعاصيين إذ لم يكن من حكمة الحكيم أن يساوي بين المحسنين والمسيئين (2)، ويقول أيضا :" والدليل على أن للصانع رسولا انه حكيم والحكيم لا يهمل خلقه من الأمر بالخيرات والنهي عن المنكرات ولا يكون ذلك إلا كلاما مسموعا فوجب أن يرسل إليهم رسولا مسمعا "(3).

(ج) الخبر :

إن العلاقة بين المهدي والخبر علاقة غير حميدة فهو صاحب نزعة عقلية ، والنزعة العقلية تنزع دائما إلى الاستقلال عن كل ما يمكن أن يعوقها ، سواء كان هذا العائق يتمثل في النص المنزل أو في غيره ، فهو يأنف كل سلطة تريد أن تحد من طموحه . ويبدو أنه مما زاد من سوء العلاقة بين المهدي والخبر ما استغله الخصوم – من بعض آرائه البعيدة

---

(1) الإمام حميدان : بيان الإشكال ، لوحة ١٣٤ـ ١٣٥.

(2) الرد على من جحد الله ، لوحة ١٠ شمال .

(3) الرد على عبدة النجوم ، لوحة ٢٢ يمين .

عن روح النص – في التشهير به والنيل من إمامته ومن شخصه وقبول الناس لهذه الآراء بلا فحص أو تمحيص ، وفي ذلك يقول : " فأني لما أطلعت على كثيرا من أقاويل الملحدين وزخرف قول المتلذذين واختلاف أهواء الضالين وباطل كلام المتحيرين واستغلاظ الجاحدين الجهلة للمسلمين وسرعة القلوب إلى الأوهام في لجج الظلام وشكها في زخرف الكلام ووجود ما ذكرت في اكثر الأنام "(1).

وتوضيحا لذلك نقول : إن الخبر نوعان : خبر منزل وخبر غير منزل .

أولا : الخبر المنزل (القران والسنة) :

١- القرآن :

يناقش المهدي في هذا الجانب فيما يتعلق بالقرآن أمرين :

الأول " يتعلق بمدى صدق النص المنزل " : فيرى أن النص المنزل صدق وحق .

الثاني "يتعلق بأولى المصدرين بالتقدم على الآخر " : هل يقدم العقل على النص المنزل ؟ أم يقدم النص على العقل ؟ هنا يعتبر المهدي القرآن – كما قلنا – يقيني الصدق ودليل الحق فيقول في كتاب تثبيت إمامة أبيه : " لا يقول أحد أن كتب الأئمة – أي كلام العقل – أولى من كتاب الله بالصدق واقرب إلى الصواب والحق "(2) ، ولكن هذا الكلام لا ينسجم مع نزعته العقلية التي فاقت التزامه بالنص المنزل وذلك حين صرح بان أدلة العقول اقطع للملحدين من أدلة المسموع (3) ، ثم تتضح نزعته العقلية في تقديمه

(١) الإمام حميدان : بيان الإشكال ، لوحة ١٣٥ يمين .

(٢) المرجع السابق

(٣) المرجع السابق

العقل على كل أنواع الخبر بجلاء حين يقول : " فان قال فبما عرفته ؟ قيل له ولا قوة إلا بالله بما هو أولى وأحق من الأبصار واصدق من جميع الأخبار . فان قال وما ذلك ؟ قيل له ولا قوة إلا بالله : ذلك العقل الذي لا يجوز عليه المحال ولا يقبل ما فسد من المقال ، فلو أدركنا صنع جميع الأشياء بمشاهدة رأي أعيننا لما كان ذلك أبدا مثل العقل "(١). فللعقل المكانة الأولى والمنزلة الكبرى في فكر المهدي.

٢- السنة :

السنة أيضا مصدر من مصادر المعرفة الحقيقية ، ولكن أية سنة يقصدها المهدي مع اختلاف المذاهب وكثرة الفرق ؟ في الإجابة على هذا السؤال يحسنا المهدي على تصديق الأئمة فيما ترويه عن النبي فيقول : " ولا تلتفت إلى اختلاف المختلفين ولا تعتمد على أقاويل القائلين فإني وطئت من العلوم مهجها واعتزلت والحمد لله همجها فما رأيت علما اشفي ولا أبين ولا أكفى مما أتيا به من خالص الدين ومحض اليقين عن خاتم النبيين وسيد الأولين والآخرين أخذاه عن آبائهما وحفظاه عن سلفهما ... حتى ينتهي إلى أهل أمير المؤمنين عن سيد المرسلين عن الروح الآمين وإخوانه الملائكة المقربين عن الله رب العالمين "(٢) وبالتالي فهم يستطيعون تبين الأخبار المزخرفة .

ولكن السؤال يطرح نفسه من جديد كيف يتسنى لائمة الزبدية معرفة صحة الأخبار المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ مع العلم بأن رواة الحديث منهم المدلس ومنهم المنافق الكذاب ومنهم المتوهم.

---

(١) شواهد الصنع ، لوحة ٧٤ يمين .

(٢) الإمام حميدان : بيان الإشكال ، لوحة ١٣٤ يمين .

المعلوم أن معرفة ذلك لا يتم إلا عن طريق معرفة علوم الحديث كعلم الجرح والتعديل [1] ومعرفة المعلول[2] والمردود[3] والمقبول[4] من الأحاديث وبضاعة أئمة الزيدية في ذلك مزجاة ، وقد أدرك ابن الوزير (٧٧٥-٨٤٠هـ) هذه الحقيقة حين قال : " إن إعراض الزيدية عن المحدثين أمر خطير، انه يعنى إعراض عن سنة الرسول، انه من الخطأ القول بالرجوع إلى أئمة الزيدية في علوم الحديث ومعلولة ومردوده ومقبوله ما يكفى أهل الاجتهاد من أهل الإسلام وإنما الذين صنفوا في ذلك كله هم علماء الحديث، وليس لائمة الزيدية في ذلك تصنيف ألبته، والذي تعرض لذلك منهم إنما تعرض لجمعه فقط، أما الإسناد وعلق الجرح والتعديل وعلم العلل فليس للزيدية في هذا الفن تأليف ألبته، وهي علوم جليلة لابد أن يعرفها أهل الاجتهاد، والقول بالرجوع إلى الزيدية في الحديث كالقول بالرجوع إلى علم الحديث في معرفة الطب أو إلى أئمة الزيدية في علم الأدب[5].

---

(١) إن الحكم على الحديث صحة وضعفا مبنى على أمور منها عدالة الرواة وضبطهم وهذا ما يسمى بالتعديل أو الطعن في عدالتهم وضبطهم وهذا ما يسمى بالجرح (د. محمود الطحان : تيسير مصطلح الحديث ، مكتبة المعارف الرياض ، سنة ١٩٨١م ،ص١١٣).

(٢)الحديث المعلول: أو المعلل اصطلاحا هو الحديث الذي اطلع فيه على علة تقدح في صحته مع أن الظاهر السلامة منها (المرجع السابق ص ٧٤).

(٣) الحديث المردود : هو الحديث الذي لم يترجح صدق المخبر به، وترجع أسباب رد الحديث إلى سببين رئيسين هما أ- سقط في الإسناد ب- طعن في الراوي [المرجع السابق ص٤٧] .

(٤) يقسم الحديث المقبول بالنسبة إلى تفاوت مراتبه إلى قسمين رئيسين هما صحيح وحسن [المرجع السابق ص ٢٧].

(٥) ابن الوزير: الروض الباسم في الزب عن سنة أبي القاسم، نشر دار الطباعة المنيرية بمصر،جـ١، ص ٨٩.

ومن هنا يتضح سر هذا الكم الهائل من الروايات الضعيفة والموضوعة والتي تملا بطون كتب أئمة الزيدية، والتي هي في حقيقتها ضربة للمذهب الزيدى في مقتل وخاصة في جانبه المتعلق بالإمامة، وقد أدرك هذه الحقيقة بعض علماء الزيدية -كابن الوزير والشوكاني - فساروا بالمذهب في طريق أهل السنة والجماعة وعلى الأخص طريق أهل الحديث.

وعلى هذا فنحن لا نوافق المهدي ولا أهل مذهبه على الرجوع إلى أئمة الزيدية في معرفة صحة الأحاديث وضعفها بل لابد أن نرجع في ذلك إلى علماء الحديث لأنهم أهله ومعدنه ([1]).

ثانيا : (الخبر غير المنزل) :

لا يلتفت المهدي إلى الأخبار غير المنزلة ويرها مملوءة بالأكاذيب ، وفي ذلك يقول : "ولا تلتفت إلى اختلاف المختلفين ولا تعتمد على أقاويل القائلين فإني وطئت من العلوم مهجها واعتزلت والحمد لله همجها فما رأيت علما اشفي ولا أبين ولا أكفى مما أتيا به من خالص الدين ومحض اليقين عن خاتم النبيين وسيد الأولين والآخرين أخذاه عن آبائهما وحفظاه عن سلفهما ... حتى ينتهي إلى أهل أمير المؤمنين عن سيد المرسلين عن الروح الآمين وإخوانه الملائكة المقربين عن الله رب العالمين "([2]). فغير ذلك من الأخبار لا يراه المهدي خبرا يجب احترامه وقبوله بما في ذلك الإجماع الذي اجمع علماء الأمة وعلماء الزيدية أنفسهم على أن مخالفه

---

(١) انظر لصاحب لكتب هذه السطور : الإمام حميدان بن حميدان وآراؤه الكلامية والفلسفية ، رسالة دكتوراه مخطوطة بكلية آداب بنها جامعة الزقازيق ، سنة ١٩٩٦م ، تحت إشراف الأستاذ الدكتور المرحوم علاء احمد حمروش .

(٢) الإمام حميدان : بيان الإشكال ، لوحة ١٣٤ يمين .

كافر(1). وذلك أن المهدي لا يلتفت إلى إجماع الأمة إلا كمطية ليؤكــد بــه مذهبه ومذهب سلفه من الزيدية ، وخاصة إذا تناول مشكلة الإمامة على ما سنرى .

وهكذا يبدو المهدي صاحب نزعة عقلية ، صحيح أنها نزعة ناقصة ، ولكنها ومع ذلك ــ وإذا ما أخذنا في الاعتبار بيئتــه وظروفــها الدينيــة والسياسية ــ متميزة إذا ما قيست بنزعة غيره من مفكري الزيدية . ولولا ظروف بيئته ــ سالفة الذكر ــ لاعلنها صريحة انه لا يؤمن إلا بـــالعقل ، ولوجد الفكر الارسطي الذي لم يكن يؤمن إلا بالعقل والعقل فقط (2)طريقــه إلى المدرسة الذيدية التي تكن عداء شديدا للفكر اليوناني والارسطي بصفة خاصة .

---

(1) الإمام حميدان : تنبيه أولي الألباب ، ضمن مجموع رسائل حميدان بن حميدان المصور بالهيئــة العامــة للكتاب على ميكروفيلم رقم (2219) عن اصل بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء / الكتب المصادرة ، لوحة 44.

(2) Anton. Hermann Chroust: Aristotle Nristo the New Light on his life and on some of his lost works vol. 11 observation on some of Aristotle lost works. University of Notr Dame Press library of congress cataloging in publication Data p.165.

الفصل الرابع

مذهبـــه في الوجـــود

يعد البحث في مشكلة الوجود(*) أو ما يعرف في مجـــال الدراســـات الفلسفية باسم الميتافيزيقية من أهم المشكلات التـــي واجـهت الفلاســـفة والمفكرين منذ القدم وحتى الآن ، بل هي اكثر الفروع الأساسية للفلســـفة التي تسبب قلقا وخوفا للفيلسوف(١) ، وذلك أن الفلاسفة الميتافيزيقيين هـم أكثر الفلاسفة اعتقادا في المبادئ الوحيدة التي تحكم كل أشياء العـــالم (٢) ولكن كل هذه المبادئ لا تعدوا أن تكون مجرد افتراضات(٣) لا دليل عليها ، إذ انه – أي الميتافيزيقي – تسائل وما زال يتســـاءل : هـل الميتافيزيقـا ممكنة ؟ وهل لها منهج ؟ وإذا كان لها منهج فما هو ؟ ولقد اضطرب الفكر الغربي في الإجابة على هذه التساؤلات ودخل في جدال لم ينته حتى يومنـــا هذا . وهذا الجدال يتأرجح بين قطبين من الأحكام والتقويمات المتضاربـــة اشد التضارب ، فأحيانا تلقب الميتافيزيقا بملكة العلوم كلها ، وأحيانا تنبـــذ وتهجر كما لو كانت امرأة زال جمالها(٤) .

(*) إذا كان الكون هو الظواهر الحسية التي نراها ونحسها في العـــالم مـــن حولنـــا فـــان الوجـــود هـــو الخاصية الكامنة خلف هذه الظواهر والتي تعبر عن واقعه الحقيقي [د .إمـــام عبـــد الفتـــاح : مدخـــل إلى الفلسفة ، طبعة دار الثقافة الجديـــدة ، القـــاهرة ســـنة ١٩٧٢ ، ص ٢٠٥] . ويعـــرف كـــانط الميتافيزيقا فيقول : هي جملة الموضوعات الخارجة عـــن نطـــاق التجربـــة ونطـــاق الزمـــان والمكـــان [د.مراد وهبه : المعجم الفلســـفي ، ط ٣ ، دار مـــأمون للطباعـــة ، القـــاهرة ســـنة ١٩٧٩ ، مـــادة ميتافيزيقـــا]

(١) michael jubien : contemporary metaphysics an introduction P. 1 , oxford 1997.

(٢) Richard mcheon : introduction to Aristotle the university Chicago , press Chicago and London , p. 283

(٣) ibed . p . 286 .

(٤) د. محمود رجب : الميتافيزيقا عند الفلاسفة المعاصرين ، ط ٣ ، دار المعارف سنة ١٩٧٧م ، ص ٥

ولكن ومن الملاحظ أن مؤرخو الفكر الميتافيزيقي يسقطون دائما من حساباتهم إسهامات المفكر المسلم في هذا المجال الهام من مجالات البحث الفلسفي ، وفي هذا ولاشك نوع من التجاهل والتعسف والانحياز الذي ينبغي أن يتحرر منه كل باحث عن الحق ، وخاصة أولئك الذين ينتمون إلى الفلسفة التي هي في صميمها بحث عن الحقيقة . وللأسف فلقد سيطرت هذه النظرة على غالبية أقسام الفلسفة في مصر حتى ترسخ في أذهاننا أن مادة الميتافيزيقا لا يقوم بتدريسها إلا المتخصصين في الفلسفة الحديثة والمعاصرة أو الفلسفة اليونانية فقط مع استبعاد المتخصصين في الفلسفة الإسلامية وكأن الفكر الإسلامي لم يقدم شيئا يعتد به في مجال البحث الميتافيزيقي ؟!

والباحث من جانبه يقدم المهدي كنموذج له إسهاماته الجيدة في مجال البحث الميتافيزيقي . وحتى تتضح هذه الإسهامات سنقف معه ونناقشه حول موضوعات ثلاثة هي :

أولا : اصل الوجود وطبيعته .

ثانيا : إثبات حدث الوجود .

ثالثا : نقض قدم العالم .

أولا : أصل الوجود :

في بحثه عن اصل الوجود يؤكد المهدي أن الهواء هو اصل الوجود فيقول : " فان قال اخبروني هل كان قبل الهواء شيء يعرف أو يحد أو يوصف ؟ قيل له ولا قوة إلا بالله : قد قال غيرنا بذلك ولم يصح"(1) . ويؤكد

(1) كتاب التوحيد والتناهي والتحديد ، لوحة ١٠٧ شمال.

قوله هذا لمن يخالف مذهبه بقوله : " اخبرنا عن ما أعظم الأجسام في الهوا واجلها فلا بد أن يقول الأرض والسماء فيقال له : أهما في الهواء أم لا ؟ فان قال لا كذب ، وان اقر بذلك صدق ووجد الأجسام لا تنفك من الهوا"(١) وذلك : " أن الأرض لم تخل من التحت ولم تخل من التباعد والتباين ، ولم تخل السماء من الارتفاع ولم تخل الأرض من الاتضاع وفوق الأرض فهو الهوا وكذلك هو تحت السماء وهو الماء من بينهما وهو سبب تباعدهما وهو الفرق بينهما "(٢) .بل انه يرد الزمان إلى الهواء ، أو يرد كلاهما إلى الآخر فيقول : " أنه ـ أي الهواء ـ لم يخل من الزمان طرفة عين . ووجدنا الزمان... هو حينئذ سكون الهوا(٣) ، وما دام قد رد الزمان إلى الهواء فلابد أيضا من رد الحركة إليه ، إذ أن الحركة ليست شيئا اكثر من كونها مقياسا للزمن ، وفي ذلك يقول في حقيقة الحركة والسكون : " والحركة والسكون فهما حالان ... لا ينفك الجسم منهما وهما حقيقة الزمان "(٤) .

وهكذا يرى المهدي أن الهواء هو اصل الوجود ، ويرد كل شيء إليه ، وهو في ذلك يذكرنا بانكسيمانس (٥٨٨ ـ ٥٢٤ ق م) الذي كان أول من ذهب إلى أن الهواء هو اصل الأشياء ، لأنه يصنع أشياء العالم خلال حركته التي لا بداية لها ولا نهاية (٥) ولكن مفكرنا المهدي يفوق المفكر اليوناني

---

(١) كتاب الرد على من جحد الله لوحة ٣ شمال.

(٢) المرجع السابق .

(٣) المرجع السابق ، لوحة ٢ .

(٤) المرجع السابق ، لوحة ١٩.

(٥) Edward zeller : outlines of the history of Greek philosophy . p . 42

في أن هذا الأخير لم يقدم العلل التي دفعته إلى اختيار الهواء ليكون أصـــلا الأشياء ، فلسنا ندري ــ على ما يقول يوسف كرم ــ على وجه التحقيـــق السبب الذي حداه إلى إيثار الهواء [1] .أما المهدي ــ كما رأينـــا ــ فيقـدم أدلة عقلية غاية في القوة واقرب إلى الإقناع .

ثانيا : إثبات حدث الوجود .

وهنا نبدأ المهدي بسؤال : هل كان قبل الهواء شيء يعرف أو يحـــد أو يوصف ؟ وعلى هذا السؤال يجيب المهدي بقوله : " قد قال غيرنا بذلك ولم يصح فأما قولنا : فان الهواء أول ما خلق الله سبحانه "[2] .وهذا الـــهواء هو المكان الذي توجد فيه الأشياء جميعها .

إذن الهواء على ما يرى المهدي مخلوق ، خُلق من العـــدم المحـــض الذي هو " لاشيء "[3] ، فلا يقال بعد ذلك فمما خُلـــق العـدم لان " العـدم لاشيء ولا شيء لا يكون شيئا "[4] لأنه " لا يوصف ... إذ لا تكون الصفـة إلا لموصوف "[5].

ومن هذا المنطلق يرى أن الله خلق الخلق من غير شيء حيث يقـــول : " اعلم أن الله سبحانه خلق الأشياء من غير شيء واخترعها اختراعا من غير بُدء "[6]ومن هنا يرفض بالضرورة نظرية المثل الأفلاطونيـــة والتـــي

---

(١) يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص ١٦ .

(٢) كتاب التوحيد والتناهي والتحديد ، لوحة ١٠٧ شمال.

(٣) كتاب شواهد الصنع ، لوحة ٣١-٣٢.

(٤) المصدر السابق ، لوحة ٧١ يمين .

(٥) المرجع السابق ، لوحة ٣٧ .

(٦) كتاب التوحيد والتناهي والتحديد ، لوحة ١١٥شمال .

تعني أن الله خلق أشياء العالم وفقا لنماذج أو مثل قديمة هي أفكار سرمدية وثابتة ، بينما تعتبر الأشياء عرضة للتلف وقابلة للاشتقاق ([1]) ولكن تفسير أفلاطون لنشاة الكون يسيطر عليها النزعة الأسطورية مما يعد إدانة علمية لمذهب أفلاطون بالكامل([2]) .

فإذا ما سألنا المهدي عن الدليل على أن الهواء خلق من العدم أجـــاب على ذلك بقوله : " بأن الهوا لابث غير زائل لا يمتنع من لبثه عــاقل ولا يكابر فيه عالم ولا جاهل ... والسكون يدل على تناهيه وتحديده إذ لا يخـل منه ألا ترى أن الشيء إذا لم يخل من صفة فذلك دليل على حدوثه ، كمثـل اللون والحركة والسكون... وغيرهن من الأعراض والكلية والأبعــاض"([3]). ويؤكد على حدث الهواء من ناحية تأكيده على حدث الزمان باعتبارهما لـم ينفكا عن بعضهما فيقول : في حدث ألهوا والزمان :" الدليل على حدثه أنـه لم يخل من الزمان طرفة عين . ووجدنا الزمان محدثا ، وهو حينئذ سـكون الهوا ، فعلمنا أن ما لم ينفك من المحدث ولم يوجد إلا بوجوده أن ســبيله في الحدث كسبيله . فإن قيل وما الدليل على حدث الزمان ؟... الدليل علـى حدثه : أن كل ساعة لها أول وآخر وكل ليلة وكذلك كل يوم وشهر ، فكلمـا حدثت ساعة انقطعت فهذا دليل على حدث ما مضى من الزمان فقد انقطـع وفنى وما وقع عليه الانقطاع والفناء تناهى "([4]) .

(١) Zeller (Dr . Edward): Outlines Of The History Of Greek Philosophy . P . 145 .

(٢) ibed . p . 150

(٣) كتاب الرد على من جحد الله ، لوحة ٢.

(٤) المصدر السابق ، لوحة ٤ شمال .

وما دام الهواء حادث والزمن المرتبط به حادث فلابد أن تكون الحركة التي هي مقياس الزمن حادثة أيضا وفي ذلك يقول: في حقيقة تناهي الزمن وحدثه :" إن جميع الأجسام من الأرض والسماء وغيرهما من الرياح والماء وجميع ما خلق الله سبحانه وبرا ودبر وذرا لا يوجد إلا في وقت وساعات لان الأجسام لا تنفك من السكون والحركات ، وكل متحرك أو ساكن لا ينفك من اقل قليل الأوقات وما لم ينفك من الوقت والزمان فهو مثله في الحدث والبرهان "(1) .

وبنفيه لقدم الحركة والزمان يخالف المهدي الفكر اليوناني وخاصة فكر أرسطو الذي كان يرى قدم الزمان والحركة (2) .

ومن لوازم حدث العالم تناهي المكان الذي يؤكده المهدي بإثبات أن كل مقطوع متناه بالضرورة وذلك حين يقول : "أن الجسم إذا هوى اسفلا أو من السفل علوا أو من غيرهما من الجهات لا يخلو في حركته من أن يكون قطع أماكنا متناهية أو قطع اماكنا لا نهاية لها أو لم يقطع بحركته اماكنا . فان قلت انه لم يقطع اماكنا جعلته ساكنا لان المتحرك لا يتحرك إلا في مكان ولابد للمتحرك أن يقطع مسافة متناهية . وان قلت انه قطع أماكناً لا نهاية لها فهذا محال لان قولك قطع اماكنا يوجب نهاية الأماكن لان القطع جرى عليها وإذا قطعت فقد تناهى قاطعها ... وإذا صح تناهي الأماكن بقطع الجسم فقد صح أيضا تناهي حركته وغايتها إذ لا توجد الحركة إلا في المكان المقطوع ... ألا ترى أن الأرض والرياح إذا كانتا بزعمهم لم تزل حركتهما تقطع مكانا بعد مكان لا يخلوان من المكان طرفة عين ولا اقل

---

(1) Edward zeller : outlines of the history of Greek philosophy . p . 191.

(2) كتاب الرد على من جحد الله ، لوحة ٢.

منهما وإذا كانتا غير خاليتين من المكان ولم توجد حركتهما إلا فيه لم يخل من يكونا قطعتاه أو لم يقطعاه ، فان لم يجر عليه القطع منهما فقد عدمت حركتهما وصح سكونهما لان الأرض بزعمهم إذا هوت فلا بد أن تقطع بهوائها ما عبرت ، وإذا صح أنها لا توجد إلا في الأجواء ولا تقطع إلا ما أتت عليه من الهوا وكانت حركتها لا توجد إلا في المقطوع عند سيرها فقد صح تناهي المكان لقطعها له وصح نهايته إذ لم ينفك من المكان المعبور ولم يوجد إلا بوجوده عند الهوا ... وإذا تناهت الأرض بالأدلة الواضحة فقد صح أنها لم تثبت على ثقلها إلا بلطف مدبرها وخالقها ومصورها وجاعلها ومخترعها ومفطرها وصانعها . والقول في السماء كالقول في الأرض عندنا "(١) . ووجود المكان دليل على حدثهما إذا لم يخل من هذا المكان المحدث الذي بينا حدثه فيما مضى من كلامنا وإذا لم يسبقه المحدث اعني الهوا أو لم يكونا قبله فسبيلهما في الحدث سبيله "(٢).

وما دام الجسم محدث فكل ما يرتبط به من الصفات أو الأعراض لابد أن يكون مثله في الحدث : " فأنظر كل علة من العلل وعرض من الأعراض فلن تجده إلا في جسم من الأجسام وما لم يوجد إلا بوجود الجسم فلم يسبق الأجسام ... فإذا صح حدث الجسم المنفرد بذاته فعرضه الذي لا يقوم بنفسه ولا يوجد إلا متعلقا به اجدر أن يكون محدثا وأحرى بان يكون مصنوعا مدبرا "(٣) فالوجود إذن حادث .

---

(١) كتاب الرد على من جحد الله ، لوحة ٧ – ٨ .

(٢) المصدر السابق ، لوحة ٣ – لوحة ٤ يمين .

(٣) المصدر السابق ، لوحة ٤ شمال .

ثالثا : نقض مذاهب القائلين بقدم العالم :

لقد انتقلت نظريات الفلاسفة ومذاهبهم إلى العـــالم الإســـلامي بعـــد ترجمتها في العصر العباسي، وكانت الأفلاطونية المحدثة أكثر المذاهب أثرا في العالم الإسلامي[١]. وذلك بعد ترجمتها من السريانية إلى العربية بعنوان : "اوتولوجيا أرسططاليس"[٢] ، وفي ذلك يرى بول إدوارد ، أن الخصـــائص الأساسية للفلسفة الإسلامية قد وضعت باتحـــاد الأرســـطية والأفلاطونيـــة الجديدة[٣]. كما يرى كل من المستشرق تنمان[٤] والبارون كـــاردوفوا هـــذا الرأي أيضا [٥].

وقد ثبت بما لا يدع مجالا للشك أن "اتولوجيا أرسططاليس" هذا ما هـــو إلا أجزاء من تاسوعات أفلوطين ... ولكنه عرف عند الإسلاميين منســـوبا إلى أرسططاليس ... نقل إذن الجانب الأكبر من فلسفة أفلوطين - المنسوبة إلى أرسطو - إلى العالم الإسلامي ، ولم يتنبه الإسلاميون اللهم إلا لمحـــات في عقل الفارابي (ت ٣٣٩هـ) ظهرت واختفت - أن أثولوجيا لا يمكـــن أن تنسب لأرسطو ، بالرغم من انه كان واضحا للإسلاميين أن الآراء المنبثـــة في الكتاب تخالف تماما ما وصل إليهم من جوهر فلسفة أرسطو[٦].

---

(١) د. على سامي النشار : نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ، حـ١ ، ص ١٧٩.

(٢) يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص ٢٩٧.

(3) The Encyclopedia of Philosophy. Vol. 4 The Macmillan company the free press. New York. Collier. Nac millan limited. London p.219.

(٤) مصطفى عبد الرازق : تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية ، طبعة القاهرة ، سنة ١٩٥٣ ، ص ٥.

(٥) مونتجومرى وات : فضل الإسلام على الحضارة الغربية ، ص ٤٦.

(٦) د. على سامي النشار : نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ، حـ١ ، ص ١٨٢.

ولكن المسلمين عرفوا أفلوطين أيضا باسم الشيخ اليوناني ، وعرضوا - تحت هذا الاسم - المذهب الأفلوطيني الحديث فالشهرستاني يتكلم عن هذا الشيخ اليوناني ويذكر رموزه وأمثاله وهى تتناول الهيولى والصورة والعقل الفعال[1]. غير أن المذهب الأفلاطوني الحديث ما لبث أن وجد طريقا آخر إلى تراث الإسلاميين الفلسفي على يد الفيلسوف الوثني الأفلاطوني المحدث برقلس وكان لبرقلس أو بركلس (٤١٠-٤٨٥م) من الأثر الكبير في دوائر الإسلاميين ما يضارع اثر أرسطو نفسه[2].

مما سبق يتضح أن المذهب الأفلوطيني المحدث - كما عرفه الإسلاميون - احتوى في داخله على خليط ملفق من المذاهب الأفلاطونية والأرسطاليسية والفيثاغورية والرواقية والغنوصية الشرقية[3]. وهذا الخلط هو الذي جعل الكثير من المفكرين المسلمين يضعون الفلسفة اليونانية والشرقية على اختلاف مذاهبها في سلة واحدة ، وهذا الأمر في غاية الوضوح عند مفكرنا الإمام المهدي على ما سنرى .

وهنا يتناول المهدي بالدراسة العناصر الآتية :

١- نقض مذاهب الفضائية القائلين بقدم العالم .

٢- نقض مذهب أصحاب الجوهر القائلين بقدم الهيولى

٣- نقض القائلين بالطبع .

٤- نقض القائلين بالكمون .

---

(١) انظر : - الشهرستاني : الملل والنحل ، ص ٤٥٦.

- د. على سامي النشار : نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ، حـ١ ، ص ١٨٠.

(٢) د. على سامي النشار : نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ، حـ١ ، ص ١٨٢.

(٣) المرجع السابق. وانظر أيضاً : د. محمد البهي . الجانب الإلهي في التفكير الإسلامي، ط٦ ، مكتبة وهبه، القاهرة سنة ١٩٨٢، ص٢٠٩.

هـ- نقض القائلين بالتولد .

١- نقض مذاهب القضائية أصحاب النجوم :

زعم أصحاب النجوم أن أشياء العالم تصدرت لدور الفلك وحركات النجوم . وقالوا : أن الفلك متصل بالعالم كاتصال خيوط الأبريم بآلة الحوك فإذا دار الفلك على المصنوع بسعد تم وصلح وإن دار عليه بنحس فسد ولا يتم كما إذا حرك الصانع آلة الحوك الملائمة السد أو اللحمة ظهر في الحوك ما أراد من صورة إما ريش طائر وإما جناحه . وهنا يسرد عليهم المهدي مبينا فساد مذاهبهم من ثلاثة أوجه :

أحدها أنك قد أثبت ما لا يقاس لأنك قد أثبت إبطال خيوط بآلة الحوك وتحريك الصانع إياها وإظهار ما تريد تحريكه بالفلك والمخلوقين . فهذا ما لا يقاس عند ذوي الألباب لأن الخيوط متصلة بهم ككل بآلة الحوك ... ولو أحدث حركة النجوم في العالم متصلة لجاز أن يحدث من تحريك الصانع لجوارحه في الحوك صورة مختلفة بغير ملامسة لأنه إذا جاز عندك أن يحرك النجم بنفسه فتفعل حركته في العالم صورا جاز لحائك الأبريم وهو بعيد عنها كما جاز للنجم تلك الصور وهو بائن منها فهذا أوجه يبطل قياسها قياسهم .

والوجه الآخر أنك زعمت أن الفلك إن دار على المصنوع بنحس فسد ولم يتم وإن دار عليه بسعد تم وصلح ولم يفسد ووجدنا الأمر بخلاف ما ذكرت وذلك أنا نظرنا إلى الأفعال أعمال الإنسان من الإنس والبهائم والطير والأشجار وما لا يحصيه إلا الله عز وجل من الحيوانات ربما لم يتم وربما تم في حال دور السعود التي زعمت أنه يتم في حال دورها ووجدناه ربما

ثم وربما لم يتم في حال دون النحوس التي زعمتم أنه لا يتم فيها وما كان من ذلك فبإذن الله وتقديره .

والوجه الثالث : أنها في نفسها مخلوقة أبان الله صنعه في إيجاده إياها فإن قال وهو قائل بلا شك وما دلك على أنها مخلوقة ؟ قيل له ولا قوة إلا بالله دلنا على ذلك إبانة صنعه فيها . فإن قال وما إبانة صنعه فيها ؟ قيل له ولا قوة إلا بالله وجوه شتى . أول ذلك تصويرها وإحكامها وتقديرها ولابد لكل صورة من مصور ولكل تقدير من مقدر ولكل تدبير من مدبر . ودليل آخر لو كانت قديمة لما كانت في أوصافها مختلفة فلما وجدناها مختلفة الأنواع علمنا أن لها مدبرا خالف بينها وفصّل بعض هيئاتها وخالف بين أوصافها( ) .

فإن سئل هل للفضاء حدود يتناهى إليها وأماكن يعتمد عليها ؟ أجاب المهدي بقوله : " نعم له حدود متناهية . وأما قولك هل له أماكن فيحتمل وجهين : إما أن تكون أردت به الجهات الست اليمين والشمال والخلف والأمام والفوق والتحت ، وإما أن تكون أردت به غير ذلك ... فإن كنت أردت ما وصفنا من الجهات فليس الجهات ... تحويه ولا له مكان سواه يحل فيه لأنه لو احتاج إلى مكان لاحتاج كل مكان إلى مكان وهذا فيبطل غاية البطلان لما دللنا عليه من حدوث الأمكنة التي هي من الأفضاء والأهوية . وإن أردت بالأمكنة التي ذكرت وعنها في بُدء الكلام سألت أن الأجزاء الكثيرة منه أماكن كفلته فقد أصبت ... ألا ترى أن أطرافه تحوي وسطه وإن أعلاه جهة لما دونه ... فإن قال بين تلك الحدود مغايرة تعرف ؟ أو هل وراء الحدود شيء مغاير يوصف ؟ قيل له ولا قوة إلا بالله : أما

( ) كتاب الرد على الملحدين ، لوحة ٨٢-٨٣ .

الحدود في أنفسها فالأعالي من الجو مغاير لأسافله والأوساط منه فغير قوابله. وأما سؤلك عن الحدود فليس لها وراء ولا شيء يتوهم ولا يرى وإنما المتوهم والمرئي المعقول هو المحدث المصور المجعول "(١) .

والإمام المهدي بقوله هذا يقدم حلا جيدا لواحدة من أهم مشاكل الفكر الفلسفي والتي احتار فيها العقل البشري وهي مشكلة المكان ، ذلك أن العقل لو ترك للتوهم أو التخيل فيها لسقط في مستنقع الشك المطلق الذي وقع فيه بعض فلاسفة اليونان القدماء ، إذ أن التوهم هنا يقوده حتما إلى سلسلة الأماكن اللامتناهية والتي لا يترتب على الإيمان بها إلا هدم الوجود بأكمله ، إذ لا يمكن الاعتقاد بوجود محدود في أماكن لا محدودة . إذن كان لابد من الاعتراف بمكان لا مكان له وهو ما قال به الإمام المهدي .

(٢) نقض مذهب أصحاب الجوهر القائلين بقدم الهيولى(٢) :

يزعم صنف من الملحدين وهم أصحاب الجوهر أن الهيولى وهو اصل الحيوانات جوهر قابل للأعراض وان معه قوة قديمة وهو قديم فحرك القوة فحدث البرد فقبله ثم حدثت القوة فحدث الحر فقبله ثم اليبس والرطوبة . فهذه القوة الهيولية القديمة تدبر لها نفسها حتى تصير مدركة حيوانية بعد أن كانت ترابية مواتية . واصل هذا المذهب عند أفلاطون وأرسطو وأفلوطين .

---

(١) كتاب التوحيد والتناهي والتحديد ، لوحة ١٠٤

(٢) الأصل اليوناني hyge من وضع أرسطو انتهى إليه من تحليل التغير ، الهيولى ليست موضوع معرفة ثم هي ليست من بين المقولات إذ أن هذه تحمل عليها في حين أنها هي لا تحمل على شيء ، إنها مجرد قوة في مقابل الصورة التي هي فعل [د . مراد وهبة : المعجم الفلسفي ، مادة هيولى]

ويسخر المهدي من أصحاب هذا الاتجاه مبينا بطلانه بقوله : " وكيف يتوهم ذلك متوهم غوي فضلا عن عاقل سوي وأنى يكون ذلك من فعل التراب وهو موات ضعيف غافل وقد عجز عن ذلك من فعل وهو حي حكيم سوي عاقل ؟ وكيف يكون للطينة قوة هيولية وليس لها إرادة ولا مشيئة وهي إذ ذلك غافلة مواتية ، وإذا عجز الجوهر في حال بلوغه وكماله عن تدبير صورته وأوصاله فهو في حال موته ونقصانه أحرى بالعجز عن إحداث خلقه وبنيانه وإذا عجز في حال حيويته وقوته فهو أحرى بالعجز في حال موته وغفلته "(١) .

" فان قال وما أنكرت أن تكون طينة العالم قديمة لم تزل ميتة ثم حييت بعد موتها وانتقلت عن سكونها فتحركت ؟ قيل له ولا قوة إلا بالله : أنكرنا قدمها الذي ذكرت لأنها إذا كانت ميتة كما زعمت ثم حييت بعد موتها فذلك دليل على محييها "(٢).

وهكذا يتضح مما سبق أن نقض المهدي لنظرية الهيولى يأتي من منطلق أن الوجود لديه خلق من العدم المحض وليس من تلك المادة القديمة اللامتعينة التي هي الهيولى ، حيث لا إيجاد من عدم ولكن خروج من القوة أو الإمكان إلى الفعل(٣).

(٣) نقض القائلين بالطبع :

يرى أصحاب الطبائع أن أشياء العالم حدثت من الطبائع الأربع الحر والبرد واليبس والرطوبة عند امتزاجها ... إذا نقص في جزء زيد في جزء

---

(١) كتاب التوحيد والتناهي والتحديد ، لوحة ١٠١-١٠٢ .

(٢) كتاب الرد على عبدة النجوم ، لوحة ١٦ شمال .

(٣) Edward zeller : outlines of the history of Greek philosophy . p . 182 .

فجاء ضرب غير الأول على هذا القياس (كمثل) خضرة وحمرة وبياض وصفرة مزج بينها فتبدلت ، ونقص من جزء وزيد في الأخر " . وأصل هذا المذهب عند الفيلسوف اليوناني انبادوقليس الذي كان يرى أن الأشياء وكيفياتها تحدث بانضمام هذه العناصر وانفصالها بمقادير مختلفة (1).

وينكر المهدي هذا المذهب فيقول: " ومما يدل على فساد قول أصحاب الطبائع أن يقال لهم لا تخلو هذه الطبائع من أحد وجهين : إما أن تكون حية قديمة مدبرة متقنة للصنع مقدرة ، وإما أن تكون مواتا ... فان كانت مواتا من جنس الهيولى فقد بان صنع الموات وتقديره وبطل حكمته وتدبيره لأنه لا يقي نفسه فضلا عن تدبير غيره بل هو من العجز والضعف فيما يمنعه من الحدث إذ لا قوة له ولا حياة ولا إحسان له ولا إساءة وكفا له بذلك عجزا وضعفا . وان كانت العلة للخلق حيا قديما مدبرا ليس له شبيه ولا مثيل ولا نظير ولا عديل فهذه صفات الخالق والخالق ليس بعلة ولا معلول بل هو الله الرحمن الرحيم"(2) .

(٤) نقض القائلين بالكمون :

الكمون نظرية تنسب إلى إبراهيم النظام ـ أخذها من الفلسفة ـ وملخصها " أن الله تعالى خلق الموجودات دفعة واحدة على ما هي عليه الآن : معادن ونباتا وحيوانا وإنسانا . ولم يتقدم خلق آدم عليه السلام على خلق أولاده ، غير أن الله تعالى اكمن بعضها في بعض . فالتقدم والتأخر إنما يقع في ظهورها من مكامنها دون حدوثها ووجودها "(3) .وهذه النظرية

---

(١) يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص ٣٦.

(٢) كتاب التوحيد والتناهي والتحديد ، لوحة ١٠٢شمال .

(٣) الشهرستاني : الملل والنحل ، ص ٦٠ .

طريقة في فهم التطور دون تحول نوع إلى أخر : لا يولد القمح من الفول ولا الفول من القمح ، ولا يولد الإنسان من الحيوان ، ولا الحيوان من الإنسان (1) . وينكر المهدي ذلك لاستحالته وبطلانه ومكابرته " العيان لانا وجدنا النطفة والعلقة معدومة ثم كانت علقة والمضغة عدم في حال كونها علقة ثم مضغة والعظام معدومة ثم كانت عظاما مؤلفة لابد لها من مؤلف وكسوة اللحم عدم ثم صوره بعد عدم التصوير ، والمحدث ما لم يكن ثم كان ، وقد وجدنا هذه الأحوال بعد العدم والصورة غير موجودة في حال كونها نطفة والحركة معدومة في موات من الإنس وغيرهم من الجمادات والحياة معدومة في حال الموت ، والصورة لابد لها من مصور وفيها إبانة صنع صانع حكيم "(2).

والحق لا ريب ـــ من وجهة نظر الباحث ـــ في جانب المهدي : " لان كل عاقل غير مكابر لعقله يعلم ضرورة انه يستحيل كمون جملة الإنسان بما فيه من أنواع الأجسام المختلفة والأعراض المتضادة وبما فيه من حياة وقدرة وسمع وبصر ونحو ذلك في نطفة قليلة ضعيفة ميتة "(3) .

(٥) نقض القائلين بالتولد :

يزعم القائلين بالتولد : انه لا نهاية لشيء من الأشياء وانه لم يزل نطفة من إنسان وإنسان من نطفة وبيضة من طائر وطائر من بيضة إلى ما لانهاية ، وحبة من سنبلة وسنبلة من حبة إلى ما لانهاية له ولا غاية .

---

(١) د. مراد وهبه : المعجم الفلسفي ، مادة كمون .

(٢) كتاب الرد على من جحد الله ، لوحة ٧٩ يمين .

(٣) الإمام حميدان : تنبيه الغافلين ، لوحة ٢٢ .

وينكر المهدي ذلك اشد الإنكار ويقول لمن زعم هذا الزعم : " قولك متناقض فاسد وذلك انك قلت لم تزل فأوجبت أنها أزلية ثم نقضت قولك بقولك يحدث فأوجبت الحدث والقدم في حال واحد فأدخلت القول على نفسك وذلك انك إذا جعلتها محدثة أزلية بطل الحدث ، وإذا جعلتها محدثة أزلية فسد قولك لاستحالة كونها معا في حال واحد "(1) .وإنكار المهدي لهذا الزعم يرجع إلى انه يترتب عليه أمران كلاهما مرفوضان من جانبه وهما : القول بقدم العالم لقدم أشيائه المتناسلة التي لا بداية لها ولا نهاية . والثاني القول باستمرار تناسل الأشياء إلى ما لا نهاية . وهذان القولان في غاية الفساد .

ويدلل المهدي على بطلان الزعم الأول بإثبات حدث ما زعم أصحاب التولد قدمه من أصول الأحياء المتناسلة وفروعها فيقول : "والدليل على أصول هذه الفروع أن الموت وقع على الجميع وللجميع نهاية وغاية ألا ترى أن الفروع متشعبة من أصولها فان الأصول في التدبير كنسولها ، وإذا صح أن هذه النسول من الحكمة مثل ما في الأرض فلابد لها من محكم وإذا صح عليها نعمة فلابد من منعم . وإذا كانا جميعا محدثين فهما بغير شك متناهيان لان الموت وقع على أصولها كلها وللكل نهاية وغاية ، ألا ترى أن أصولها على معنيين يدلان على النهاية ويخبران بالأصل والغاية وهما الحياة والموت ، وذلك أن الحياة حوتهم كلهم فلم تغادر منهم أحدا حتى حوته ولم تترك من أجسامهم (جزء) حتى حلته ، ثم خرجت الحياة من الأجسام كلها وانتقلت من فروعها وأصولها فلم تبق الحياة جسما حتى فارقته ولم تترك جسدا حتى باينته . ثم تضمن الموت جميعهم وحوا

---

(1) كتاب الرد على الملحدين ، لوحة ٨٠ يمين .

أصولهم وفروعهم وإذا حواهما الموت فقد نهاهم وأوضح حدهم وغاياتهم لأنه لم يقع على الفرع حتى تضمن اصله ولم يفن الفرع حتى فنى الأصل قبله .

وإذا تناهت الفروع إلى أصولها ورجع أكثرها إلى قليلها فلابد من النظر في الأصل الذي هو اقل من فرعه والبحث عن فعل الحكيم وصنعه ، فإذا نظرنا في ذلك علمنا أن الغاية التي صحت والنهاية التي سلفت زوجان أصليان غير مولودين ولا من الأصلاب والأرحام موجدين .والدليل على حدثهما كالدليل على حدث فروعهما ... والدليل على انهما كانا قبل حياتهما ميتين وكان قبل الحياة معدومين انهما إذا كانا حيين معمرين فلا يخلو ما مضى من أعمارها من أن يكون كثيرا أو قليلا وللكثير والقليل نهاية تدل على الابتداء لان ما مضى من العمر فقد تناهى لان كثيره لم يكبر إلا بعد أوليته "(١) .

ويدلل على بطلان القول الثاني بإثبات فناء جميع الأشياء بقوله : " والدليل على نهاية جميع المصنوعات من الأهوية والأرض والسماوات أنها لا تخل من أحد وجهين : إما أن يكون صانعها فرغ من صنعتها ... وإما أن تكون ناقصة بعد ما ابتدعها . فان كان الصانع قد أتم صنعه وفرغ من العالم وقطعه فقد صح تناهيه لانقطاعه وتحديده الصانع بعد ابتداعه . وان كان هذا العالم محتاجا إلى النظام ... وما كان ناقصا عن الكمال فهو مقطوع وما كان له منقطع فهو مصنوع والله محدثه وصانعه ومحدده وقاطعه "(٢) .

---

(١) كتاب الطبائع ، لوحة ٢٥ .

(٢) كتاب الرد على من جحد الله ، لوحة ٦-٧ .

" فان قال وما أنكرت من أن تكون الحركات تحدث وتعدم إلى ما لانهاية ؟ قيل له ولا قوة إلا بالله : مسألتك تحتمل وجهين : إما أن تكون عنيت ما هو الآن يحدث ويدور ، وإما أن تكون عنيت ما مضى وفنى بعد حدوثه فذلك متناهي لأنه على حالين متناهيين الحدوث ثم الفناء وما يصح فناء كله بعد حدوثه كله فله نهاية وغاية ، وان كنت تريد بقولك لا نهاية له ما هو الآن يدور من الحركات فليس يعقل تناهيه وانقطاعه إلا من المسموع وقد اخبرنا الله في كتابه بانتثار الكواكب وإنكدارها وسقوطها حيث يريد وانحدارها "(1) .

تعقيب :

مما سبق يتضح أن نزعة المهدي العقلية تتمثل في الآتي :

١ـ إن الإمام المهدي ـ وعلى غير عادة المتكلمين ـ ينتهج الطريق العقلي الفلسفي الصاعد فهو لا يبدأ في أبحاثه الميتافيزيقية من الله وصفاته وإنما يبدأ من إثبات حدث العالم ، ثم ينطلق بعد ذلك ـ على ما سنرى في الفصل التالي ـ إلى إثبات وجود الله وتأكيد صفاته المطلقة التي تتوافق مع القول بحدث العالم ، إذ أن خالق العالم لا بد أن يتصف بكل صفات الكمال .

٢ـ في تقديمه لحلول عقلية جيدة ، مثل مشكلة المكان التي هي من اشد مشكلات الفلسفة تعقيدا وصعوبة ، فهو ـ وعلى غير عادة المتكلمين ـ يناقش الأمر من منطلق عقلي محض لا من منطلق النص المنزل (القرآن والسنة) .

٣ـ إن المهدي ينطلق في رفضه وهدمه للنظريات والمذاهب اليونانية والشرقية القائلة بقدم العالم من منطلق عقلي أيضا ، فـ و ينـاقش هـذه

(١) كتاب الرد على عبدة النجوم ، لوحة ١٩ يمين .

المذاهب ويغوص بداخلها ويبين مفاسدها ومحالاتها من داخلها لا من منطلق النص المنزل كما يفعل الكثير من المتكلمين .

٤ـ إن المهدي بعرضه لمذاهب الآخرين يمتلك أدوات المفكر الحر ، الذي من أهم سماته أن لا يغمض عينيه عن أراء الأخريين بل لابد أن يطالعها ويتعرف على إيجابياتها فيقبلها ويستفيد منها ، ويتعرف على سلبياتها فيعتزلها ويحذر منها .

الفصل الخامس

اللــــه : ذاته - صفاته - أفعاله

إن الإمام المهدي في هذا الجانب من أبحاثه يواصل طريقه الصاعد فهو بعد أن أكد حدث العالم كان لابد له أن ينطلق إلى إثبات محدثه ، ثم يبين طبيعة ذات هذا الخالق وصفاته ، ولذلك سنقف معه في هذا البحث عند ثلاثة نقاط رئيسية هي : ١ــ أدلة وجود الله .

٢ــ طبيعة الذات الإلهية وعلاقاتها بالصفات .

٣ــ صفات الله .

أولا : أدلـــة وجود الله :

يرى الإمام المهدي أن " دلائل الله عليه منيرة ولا تطفأ وشواهد صنعه ظاهرة لا تخفى تدل من فكر في صنع الله وتدبيره ومعجز فطرته وتقديره ولا يكفر بدلائل الله وتبصيره من اشتغل عن وعظه وتذكيره واقبل على لهوه وفجوره "(١) . وهو بالفعل يقدم أدلة كثيرة لا يمكن عرضها هنا لضيق المقام ولذا سنكتفي بعرض نماذج منها :

١- دليل أن لكل حادث محدث :

فحوى هذا الدليل أن كل حادث لابد من محدث أحدثه ، " فان قال ملحد أو سأل سائل مسترشد فما تنكرون من أن يكون الخالق مخلوقا وخالقه مخلوق إلى ما لا نهاية له ؟ قيل له ولا قوة إلا بالله أنكرنا ذلك لأنك جعلت الكل مخلوقين ويستحيل أن يكون المخلوق ربا لمخلوق إذ هما سواء في الحدث لا فرق بينهما "(٢) و " لو كان كل محدث من محدث لكان لذلك أخر

---

(١) كتاب الرد على عبدة النجوم ، لوحة ١١ يمين .

(٢) كتاب شواهد الصنع ، لوحة ٧١ شمال .

وما كان له أخر فله أول وما كان له أخر وأول فقد صح حدث الجميع "(1).
وإذا صح حدث الجميع فقد صح وجود الخالق المحدث .

ومن الأمثلة الجزئية على ذلك أنا قد أثبتنا فيما سبق حدث الفلك " وإذا صح حدث الفلك فلا يخلو من أحد ثلاثة اوجه : إما أن يكون احدث نفسه وإما أن يكون حدث ولا محدث وإما أن يكون أحدثه محدث أبان صنعه من تركيبه ... وهو الله الذي صنع وافطر واحكم ودبر"(2) .

وهكذا يوضح المهدي أنه لابد لكل حادث من مُحدث أحدثه ، " فان قال لما أنكرتم حدث ولا محدث له ؟ قيل له ولا قوة إلا بالله أنكرنا ذلك لان قولك حدث يوجب أن له محدثا ثم نقضت قولك بقولك لا محدث له فأقررت بالحدث ثم نفيته لان الحادث لابد له من محدث أحدثه كما لابد لكل فعل من فاعل ولابد لكل بناء من بانٍ ولكل كتاب من كاتب ولابد لكل صوت من مصوت ولابد لكل اثر من مؤثر ومحال أن يكون اثر من غير مؤثر وصوت من غير مصوت "(3).

وهذا الدليل لا يؤكد فقط وجود الله ولكن أيضا يؤكد تميز الله عن الكون وكل ما فيه ، ومن هنا يلتقي المهدي مع الوصف القرآني الذي يؤكد أن الله أرفع وأسمى من كل مخلوقاته ، إذ هو الوحيد الذي لا يوجد شيء على ما هو عليه(4).

---

(1) المصدر السابق ، لوحة ٣٨شمال .

(2) كتاب الرد على الملحدين ، لوحة ٨٤ يمين .

(3) المصدر السابق ، لوحة ٨٠ يمين.

(4) Oliver Leaman : An Introduction To Medieval Islamic Philosophy , Printed In The United In Of America 1999 . P . 25 .

٢- دليل الموافقة بين الأشياء (الغائية) :

يقوم هذا الدليل على أن أشياء العالم في غاية الاختلاف والتباين من حيث الطبيعة ، ولكنها ومع ذلك في غاية التوافق والانسجام من حيث المنفعة ، و " لا تخلوا هذه المختلفات من أحد وجهين : إما أن تكون خالفت بين أنفسها وإما أن يكون خالف بينها مدبرها . فان كانت خالفت بين أنفسها فهذا محال لأنها لم تكن واعية عند كونها ولا عالمة في حال عدمها فلما استحال هذا الوجه صح الثاني وهو أن لها مدبرا خالف بينها إذ الفاعل الحكيم بين صنعه في إحداثها وجعل لكل واحدة من هذه المختلفات لشيء بعينه ولا يجعل الشيء للشيء إلا حكيم ولا يجعل الشيء للضرورات إلا عليم ألا ترى أن هذه الحواس جعلت لعلم جاعلها بضرورة أصحابها إليها وفاقتهم لها وجعل سبحانه لهم من اللذات والأغذية مالا قوام له باضطرار إلا بها وجعل لهم مداخلا للأغذية ومخارج ولا يجعل المخارج إلا عالم بما صنع من المداخل التي لا قوام لهم إلا بها ولا متصرف لهم إلا عنها إذ اضطرهم إليها وجعل لهم ما ينتفعون به من الآلات والأدوات من الأيدي التي تصلح للبطش والأرجل التي تصلح للخطف والحركة والسير والألسن الناطقة بأفنان الحكمة المؤدية للمصلحة والعقول المميزة النافرة عن المضار المجتلبة للمنافع التي هي حجج على من جعلت له ، ولا تكون حكمة محدثة صح حدثها إلا من حكيم مدبر عليم "(١).

وهذا الدليل هو دليل عالمي حيث نجد الكثير من الفلاسفة سواء من فلاسفة اليونان أو من فلاسفة العصر الوسيط ـ كأغسطين ـ والحديث قد أكدوا على القول بالغائية في الكون وبالنظام والإتقان الموجودين فيه ، وقد

---

(١) كتاب الرد على الملحدين ، لوحة ٨٠ يمين .

صعد أكثرهم من ذلك إلى القول بوجود آله للكون[1] . وفي محيط الفكر الإسلامي نجد هذه الفكرة عند الكندي وابن رشد ، كما نجدها تتردد عند المعتزلة وخاصة في دراستهم لأصل العدل ، إذ أن القول بالعدل يتفرع عنه عند المعتزلة القول بالغائية والعناية الإلهية ، وما يقال عند الأشاعرة الذين اثبتوا في كثير من كتبهم التي ألفوها وجود العناية الإلهية وربطوا بينها وبين القول بالغائية [2] .

٣- دليل الإنسان :

وهذا الدليل يشتمل على الدليلين السابقين فهو من ناحية يؤكد أن لكل حادث محدث أحدثه وخلقه من العدم المحض ، وقد خلق الله الإنسان بعد أن لم يكن . ثم يوضح في الناحية الثانية حكمة الله التي تؤكد الغائية في خلق الإنسان حيث أن الله قد خلق الأشياء موافقة تمام الموافقة مع الإنسان.

وفي ذلك يقول : " أن اقرب الأدلة إلى الإنسان نفسه وذلك أنا نجد الإنسان بعد عدمه فنعلم أن له موجدا أوجده بعد عدمه لم يجد في نفسه حكمة ونجد عليه نعمة ولا تكون الحكمة إلا من حكيم ولا النعمة إلا من منعم كريم . فان قال وما الحكمة التي في الإنسان وما النعمة التي عليه ؟ قيل له ولا قوة إلا بالله : أما الحكمة التي فيه فالصنع الذي لا يكون إلا من صانع حكيم ، وأما النعمة فالرزق المبسوط الذي لا يكون إلا من رازق كريم وذلك أنا نظرنا الإنسان فإذا هو نطفة من ماء مهين ميت قابل حقير غير سميع ولا بصير وجدناه بعد ذلك إنسانا حيا حكيما مدبرا سميعا بصيرا موصلا مفصلا قد جعل كل معنى منه لمعنى ولا يجعل المعنى للمعنى إلا

(١) العراقي : النزعة العقلية في فلسفة بن رشد ، ص ٢٧٥ .

(٢) المرجع السابق .

عالم بما صنع وبنا ، فأول ما نظرنا منه تكثيره بعد قلته وقوته بعد ضعفه وحياته بعد موته وعلمه بعد جهله فعلمنا بيقين أن هذه نعم محكمة لا تكون إلا من حكيم عليم وتدبير لا يكون إلا من مدبر قديم ورحمة لا تكون إلا من رحيم "(1).

وهكذا يجمع هذا الدليل بين دليل الإحداث من العدم المحض أو الاختراع ودليل الغائية وهما على ما يقول بن رشد : " دليلا الشرع "(2) .

ثانيا : طبيعة الذات الإلهية وعلاقاتها بالصفات :

يرى الإمام المهدي أن الله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء لا في الذاتية ولا في الفعل ولا في الصفات ، وهو هنا يواصل نزعته العقلية فيبين أن هذه المخالفة هي مخالفة لم تصح لله من قبل النص المنزل بقدر ما تصح له من جانب الخلق والإحداث من العدم المحض ، وفي ذلك يقول : " فلما صح أن للأشياء خالقا محدثا جاعلا صح انه بخلافها من جميع المعاني وصح انه لا يشبهها في الذات ولا الفعل ولا الصفات ، ألا ترى انه لو أشبهها في بعض الشيء لكان ذلك الشيء مثلها في الحدث والحدث لا يتعلق بقديم لأنه لا يوجد متعلقا إلا في كله أو بعضه وللكل والبعض نهاية لان الكل محدود والبعض لا يتعلق إلا بمتحرك أو ساكن والمتحرك والساكن محدثان ولو أشبههما في كل شيء لكان محدثا مثلها ولو كان محدثا لما كان ربا لان المحدث مربوب والمربوب مخلوق ولا فضل لمخلوق على مخلوق في معنى الحدث بعد العدم فواجب أن الخالق لا يشبه المخلوق "(3).

(1) كتاب شواهد الصنع ، لوحة ٧١ شمال .

(2) ابن رشد : الكشف عن مناهج الأدلة ، نشر المكتبة المحمودية بمصر ، د.ت ، ص ١٥.

(3) كتاب شواهد الصنع ، لوحة ٧١ شمال .

وإذا كان الله سبحانه يفارق الإنسان ويختلف عنه في كل شيء وكـــان للإنسان صفات : فـــهل لله صفات ؟ وما الفرق بينها وبين صفات الإنســـان ؟ هنا يرد المهدي على من سأل هذا السؤال بالإجابة الآتيـــة : " أن لـــه صفات هي هو ... لأنه واحد ليس معه شيء يعلم به ولا يقدر ولكنه غنـــيّ حكيم عالم قادر حيّ بغير معاني سواه "(١) . " فقدمه هو ذاته وذاته قدمــه وكذلك علمه قدرته وقدرته علمه ، وكذلك القول في سمعه وبصره وحياتــه أنها شيء واحد هو الله عز وجل إلا ترى أن السمع هو العلــم بــالأصوات وكذلك البصر هو العلم بالمبصرات لا انه كما قال أهل التشبيه ذو آلات لمــا في الآلات والأدوات من السكون والحركات والحركة والســكون فمحدثــان وهما عن الله ممتنعان لأنهما عرضان متداولان وضدان متنافيين لا يوجدان إلا في مفترق أو في مجتمع ولا يكون الافتراق والاجتماع إلا مـــن مفــرق جامع وخالق فاطر صانع وهذه صفات المحدثات التي لا تنفك من الأعراض ولا تمتنع من الكلية والأبعاض فهي غير ممتنعة من صنع صانعها "(٢).

ثالثا : صفات الله :

يرى المهدي أن الصفات ــ بالنسبة لله ــ نوعان : النوع الأول : مـــا ينبغي أن يضاف إلى الله من صفات . والنوع الثاني : هو ما ينبغي أن ينفى عن الله من صفات . ويوضح المهدي هذين النوعين فيقول : " انـــه عـــز وجل أولى بكل ما حسن من الصفات وأحق بالتنزيه عن شـــبه المحدثـــات "(٣).وسنقف هنا مع هذين النوعين بالتفصيل .

(١) المصدر السابق ، لوحة ٧٣ .

(٢) كتاب التوحيد والتناهي والتحديد، لوحة ١١٠شمال .

(٣) كتاب الرد على عبدة النجوم ، لوحة ٢٠ شمال .

(أ) ما ينبغي أن يضاف إلى الله من صفات :

وما ينبغي أن يضاف إلى الله من صفات نوعان :

النوع الأول : صفات الـذات .

النوع الثاني : صفات الفعـل .

النوع الأول : صفات الذات :

وهذه الصفات تصاف إلى الله مجازا لأنها ليست شيء اكثر من الـذات بل هي الذات والذات هي : التوحيد والعلم والقدرة والسمع والبصر والحيـلة والقدم ... الخ .

١- التوحيد(*) :

وقد سبق الحديث عنه في فصل نزعته المعتزلية .

٢- العلـم :

العلم ــ على ما يرى المهدي ــ صفة " من اكرم صفاتـه "(١) تعـالى .وهو ــ كما قلنا ــ من صفات الذات ، وفي ذلك يقول : " علمـه وقدرتـه صفتان من صفات ذاته هما الذات والذات هما وهو العالم بنفسـه القـادر بنفسه الحي بنفسه لا بحياة سواه ولا علم ولا قدرة غيره "(٢).

(*) التوحيد : في اللغة هو ما يصير به الشيء واحد[القاضي عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة ، طبعة مصر الأولى ، تحقيق د.عبد الكريم عثمان ، القاهرة سنة ١٩٦٥م ، ص ١٢٨] . وفي الاصطـلاح : " الواحد هو الشيء الذي لا يصح انقسامه إذ لا يقبل الشركة بوجه ، فالبارئ تعالى واحد في ذاته لا قسـم له ، وواحد في صفاته لا شبيه له ، وواحد في أفعاله لا شريك له " [الشهرستاني نهاية الإقـدام في علـم الكلام ، نشر الفرد جيوم ، د . ت . ص ٩٠] .

(١) المصدر السابق ، لوحة ٩١ يمين .

(٢) كتاب التوحيد والتناهي والتحديد، لوحة ١٠٩ يمين .

والدليل على علم الله : " الدليل على علمه سبحانه وجود صنعــه تامـا محكما والحكمة لا تتم من جاهل فعلمنا انه عالم بكيفية الصنع قبــل فعلــه كعلمه به بعد جعله إلا ترى أن الفعل يتعذر على من يجهله "(١) ومما يــدل أيضا على انه عالم لأنه لو لم يكن عالم : " لما اهتدى إلى خلق الأشياء من غير شيء بل لعلمه بها قبل تكوينه لها خلقها وفطرها واخترعها بغير مثال احتذى عليه ، وكيف لا يعلم المبتدع ما ابتدع والحكيم الصانع ما صنــع "(٢) وفي هذه الأدلة طعن في نظرية المثل ، ورفضها تماما لان إله أفلاطون لــم يكن لديه تصور عن كيفية بداية العالم(٣).

ولكن ثمة مشكلة عجز المهدي ــ كما عجــز أســلافه مــن الزبديــة والمعتزلة ــ عن حلها وهي مسألة كون علم الله هو الذات نفسها ، إذ كيف نوفق بين القول بوحدة الذات وكثرة العلم ــ الذي هو الذات ــ وتعدده ؟ إن هذه المسألة يمر عليها الباحثون مرور الكرام وهي ليست بهذه البساطة بل هي من الخطورة بمكان كبير . ونوضح ذلك فنقول : إن التوحيد بين الــذات والعلم يترتب عليه أمران لا ثالث لهما ، الأول : قال به الفلاسفة ــ وكــانوا في ذلك منسجمون تمام الانسجام مع أنفسهم ــ وهــو أن الله لا يعلــم إلا ذاته فهو ــ على ما قال ابن سينا والفارابي وسبقهم إليه أرسطو ــ عقــل وعاقل ومعقول أو علم وعالم ومعلوم ، ويعلل أرسطو ذلك " بأن قيمة الفكر تكون بالنسبة إلى قيمة محتوياته "(٤) ولما كانت الذات الإلهية هي اشــرف

(١) كتاب الرد على الملحدين ، لوحة ٩٢ يمين .

(٢) كتاب شواهد الصنع ، لوحة ٧٣ شمال .

(٣) Edward zeller : outlines of the history of Greek philosophy . p . 183

(٤) ibed .

الموضوعات فهي الأحق بالتفكر لا غيرها. وبهذا القول وحده يمكن الحفاظ على وحدة الذات والعلم . والثاني : وهو القول بان الله يعلم الأشياء بكل تفاصيلها ، وهو قول يترتب عليه إحاطة العلم الذي هو الذات بالأشياء ، مما يؤدي – حتما – إلى الوقوع في القول بوحدة الوجود ، على نحو ما رأينا عند مؤسس المذهب الزيدي في اليمن الإمام الهادي إلى الحق يحي بن الحسين الرسي ، حيث يرى أن إحاطة علم لله للأشياء هي إحاطة ذات ، وذلك حين قال : " ومعنى قولنا في إحاطة علمه أي إحاطته بنفسه لأنه لا علم له غيره ، فالله عز وجل قد أحاط بالسماوات والأرض كإحاطة الأرض بالخلقة الملقاة في جوفها "[1] ، فالله – تعالى عن ذلك – قد أحاط بالسماوات والأرض كإحاطة الأرض بالخلقة الملقاة في جوفها . وهل هذا الكلام إلا وحدة الوجود[2].

إذن لا مفر أمام المتكلمين وخاصة المعتزلة والزيدية إلا أمران : إما أن يقولوا بان الذات ليست العلم ، وبذلك يجنبوا أنفسهم الوقوع في القول بوحدة الوجود . أو يقولوا بوحدة الذات والعلم ، ويقعوا في القول بوحدة الوجود . والأفضل في كل ذلك في نظرنا أن نقول أن لله علم ولكن لا نعلم أهو الذات أم غيرها .

وبصرف النظر عن هذه المشكلة العويصة إلا انه يتضح أن علاقة الوجود بالله علاقة إله عالم بما خلق ، على خلاف إله أرسطو الذي لا يعلم

---

(١) الإمام الهادي إلى الحق : العرش والكرسي ، مخطوط مصور بدار الكتب المصرية ، على ميكروفيلم رقم (٣٢٢) ، لوحة ٥٠ .

(٢)د. السيد عبد الرحمن : الإمام يحي بن الحسين الرسي وآراؤه الكلامية والفلسفية ، رسالة ماجستير مخطوطة بكلية آداب الزقازيق ، جامعة الزقازيق ، تحت إشراف أ . د / محمد محمود أبو قحف أستاذ ورئيس قسم الفلسفة بكلية آداب الزقازيق ، سنة ١٩٩٣م ، ص ٧١ .

إلا ذاته ، بل هو إله يعلم كل صغيرة وكبيرة في هذا الكون ، وستأتي صفتي السمع والبصر لتؤكد علمه بالجزئيات تلك الصفة التي كان ينكرها الفـارابي وابن سينا سيرا وراء أرسطو معلمهم الأول .

٣ - القـــدرة :

القدرة كالعلم صفة من صفات الذات ، وفي ذلك يقول : " علمه وقدرته صفتان من صفات ذاته هما الذات والذات هما وهو العالم بنفســـه القــادر بنفسه الحي بنفسه لا بحياة سواه ولا علم ولا قدرة غيره "(١) ، فـــالقدرة إذن قديمة قدم الذات ، والدليل على قدم القدرة كالدليل على قدم العلم لأنـــه لو خلا من القدرة لكان قبل ذلك عاجزا "(٢) ، والدليل علـــى أنـــه قـــادر : " وجود ما قدر على إيجاده وإحداث ما صنع من مراده "(٣) وذلك " لأنا نظرنا إلى الصنع فإذا هو مخترع من غير اصل ولا بدء فعلمنا انه من فعل قـــادر لان العاجز لا يصنع الشيء من غير اصل ولا بدء "(٤) .

وبهذا يؤكد المهدي أن علاقة الله بالوجود إنما هي علاقة إلـــه قـــادر على كل شيء ولا تتوقف قدرته على إخراج الوجود من حالة الإمكان علـــى ما كان يعتقد الفارابي وابن سينا ، ولا يقيم صناعته على نمـــاذج أو مثـــل قديمة ، لذلك يعد مذهب المهدي رفضا قاطعا لنظرية المثـــل الأفلاطونيـــة ، كما يعد رفضا لنظرية أرسطو في المحرك الأول ذلك الإله المجهول القدرة .

---

(١) كتاب الرد على الملحدين ، لوحة٩١ يمين .

(٢) كتاب التوحيد والتناهي والتحديد ، لوحة ١٠٩-١١٠.

(٣) كتاب شواهد الصنع ، لوحة ٧٣شمال.

(٤) كتاب التوحيد والتناهي والتحديد ، لوحة ١١٦شمال .

وهذا ما يؤكد أن المهدي يلتقي مع القرآن الذي يؤكد أن قدرة الله مطلقة لا يحدها سوى شيء واحد وهو أن يخلق مثل نفسه(١).

وهنا تزيد القدرة العلاقة بين الله والعالم وضوحا ، فهي قدرة شـــاملة تتعلق بخلق الوجود والماهية معا ، ولا تقتصر على تحريك الممكـــن مـــن حالة الإمكان إلى حالة الوجود فقط بل قادرة على إيجاد الوجود والماهيــــة معا ، كما أنها تخلق وتحدث بلا مثل سابقة .

٤ ، ٥ ، ٦ ـ الحيـــاة والســـمع والبصـــر :

الحياة والسمع والبصر أيضا من صفات الذات القديمة ، و " الدليل على انه حي سميع بصير انه عالم حكيم مدبر ، ومن صح لـــه العلـــم والقـــدرة والقدم والحكمة فقد انتفى عنه الموت والغفلة لان الميت لا يكـــون حكيمـــا وكذلك الأصم الأعمى لا يكون عليما(٢) . " فان قال - قائل - ما دليلك على أن الله حي ؟ قيل له ولا قوة إلا بالله : لانا نظرنا إلى الخلق فإذا هو متصل تام محكم متقن فعلمنا انه صنع حكيم حي لان الميت لا يقي نفسه فضلا عن غيره ومحال تدبير من هو ميت والحكيم لا يكون إلا حيا والميت لا علم لـــه ولا قدرة ولا إرادة ولا حكمة "(٣). و"الدليل على قدم الحياة والسمع والبصر انه لو خلا من قدمهما لما كان عالما قادرا قبل حدوثها لان الميت لا يكـــون عليما مدبرا ولا يكون سميعا بصيرا ولو حدثت هذه الصفات بعـــد عدمـــها لكان لها محدثا بخلافها "(٤).

---

(١) Oliver leaman : an introduction to medieval Islamic philosophy , p . 25

(٢) كتاب التوحيد والتناهي والتحديد ، لوحة ١١٠ يمين .

(٣) كتاب الرد على الملحدين ، لوحة ٩١ شمال – كتاب شواهد الصنع ، لوحة ٧٣ يمين .

(٤) كتاب التوحيد والتناهي والتحديد ، لوحة ١١٠ يمين .

وفي مذهب المهدي هذا رفض لإله أرسطو الذي لا يعرف هل هو سميع بصير أم أنه أعمى أصم ، بل لعله يعرف فقد صرح بأن الموجود المكتفي ذاتيا لا يتعدى نشاطه نفسه(1) ولا ينقض قولنا هذا بقول من يقول أنه يعلم ذاته لأن الأعمى والأصم في عالمنا هذا يمكنهما معرفة ذاتهما على الرغم من ذهاب سمعهما وبصرهما ، فالسمع والبصر ليسا من ملحقات العلم ولذلك فقد اخطأ في ذلك الفلاسفة - من أمثال الفارابي وأبن سيناء - حين ردوا السمع والبصر إلى العلم ، وعللوا الخلاف في أسماء العلم باختلاف الإضافات ، فهو باعتبار علمه بالمسموعات سميع ، وبالمبصرات بصير .

٧ - في قدم الله :

والقدم أيضا صفة من صفات الذات و " الدليل على انه سبحانه قديم أن في كل محدث صفة تدل على محدثه وبنية في حده تدل على بانيه وصانعه وليس لله عز وجل صفة تدل على حدثه دلالة ذات مركبة فيدل ذلك التركيب على مركبه ، وإذا كان الله سبحانه لا يوصف بصفات تدل على الحدث فقد ثبت له القدم وانتفى عنه الوجود بعد العدم(2). فان سأل سائل فقال : " فإذا كان لابد لكل محدث من دليل يدل على حدثه فكذلك أيضا لابد للقديم من دليل يدل على قدمه . قيل له ولا قوة إلا بالله : الدليل على قدمه تبارك وتعالى أنا وجدنا المحدثات تحتاج إلى محدث أحدثها وان المحدث لها لا يكون محدثا مثلها لأنه لو كان مثلها وكان يشبهها لتعذر عليه خلق الأجسام كما تعذر عليها "(3).

---

(1) Edward zeller : outlines of the history of Greek philosophy . p . 183 .

(2) كتاب التوحيد والتناهي والتحديد ، لوحة ١٠٨ شمال.

(3) المصدر السابق .

النوع الثاني : صفات الفعل :

إن وصف الله بأنه مريد لا خلاف فيه بين الفرق الإسلامية وإنما الخلاف في الإرادة ، فالأشعرية على انه مريد بإرادة قديمة ، والمعتزلة على انــــه مريد بإرادة محدثة هي خلقة ، وقال معتزلة البصرة : أنها عرض موجــود لا في محل .

وينحاز المهدي إلى المعتزلة فيرى أن إرادته فعله فيقول : " فان قــال ربكم مريد ؟ قيل له : نعم . فان قال ما إرادته ؟ قيل له ولا قوة إلا بــالله : فعله الشيء فقط "(١). وهذا ما يميزها تماما عن الإرادة الإنســانية التــي تختلف عن الفعل ، وفي ذلك يقول : " الإرادة على وجهين : إرادة ضمير ، فأما الضمير فينفى عن الله سبحانه لما قدمنا في ذلك من البيــان ... وأمــا الفعل فهو أولى ما وصف به الرحمن "(٢).

فان سألناه إذا كانت إرادة الله هي فعله أليس يكون بــالضرورة كفــر الكافر وإيمانه هي لا ريب فعله ؟ وهذا يؤدي إلى القول بان الإنسان مجبور ، ويصبح في الوقت ذاته سخطه ورضاه ومحبتــه وكراهتــه هــي أفعــال مخلوقات له . هنا يجيب المهدي بقوله : " وأما إرادته لطاعة عباده فــهي أمره لهم فقط و كذلك سخطه لمعصيتهم فهو نهيه لهم والله سبحانه لم يزل عالما بجميع فعله عالما بجميع ما سيريد تكوينه ، وإنما الذي يريد بلا علـم تقدم ويضمر بغير تكوين هو الإنسان الجاهل الحائر الفكر الذي تحدث لــه النية والضمير والإرادة بإضمار القلب والطوية ولو كانت إرادته قبل فعلــه لكانت إرادته كإرادة المخلوقين ولكانت عرض من جسم ولو كــان جســما

---

(١) كتاب الرد على الملحدين ، لوحة ٩١شمال.

(٢) كتاب التوحيد والتناهي والتحديد ، لوحة ١١٥يمين.

لأشبه الأجسام ، وإنما إرادته فعله وفعله مراده وليس ثم إرادة غير المواد فيكون مشابها للعباد . ومحبة الله هي رضاه ورضاه محبته ومحبته ثوابه ، وبغضه غضبه وغضبه عقابه ، وكراهته نهيه لا غير ذلك وهذه صفات تكون لله فعلا وتكون للمخلوقين بخلاف ما هي لله أعراض علل في المعلولات لان إرادة المخلوقين ... محبة نفوسهم قبل فعلهم وكراهتهم ومحبتهم مخدعان في صدورهم وحاشى لله أن يوصف بصفات خلقه "(١).
وبهذا يرى المهدي أن الإرادة وملحقاتها من الحب والبغض والكراهية هي مخلوقات لأنها مرتبطة ارتباط وثيق بالفعل الإنساني المحدث .

وعن علة خلق الله خلقه للأشياء يرى المهدي انه لم يكن ثمة علة دفعت الله إلى أن يخلق العالم بل لقد خلق العالم بلا داع خطر له ، ولذلك يقول لمن سأله : " فما دعاه إلى أن يخلق ؟ قيل له ولا قوة إلا بالله : كلامك هذا فاسد محال لا يجوز على الله سبحانه لأنه لم يزل عالما بلا داع خطر لان الخاطر الداعي من صفات الجهال المخلوقين الذين يذكرون النسيان والناسي لابد له من مانع منعه وهو الله الذي فطره على الضعف وصنعه "(٢).

ولعل في قوله هذا رد على الفلاسفة من قبله ومن بعده ، فالفلاسفة القدامى- وخاصة أرسطو – لم يثبتوا لله إرادة ولذلك لم يثبتوا خلقه للكون ، بحجة أن نشاطه لا يتعدى ذاته ، والفلاسفة المسلمين - الذين جاءوا من بعد - كابن سينا لم يثبت لله أيضا إرادة لكي يبرر نظرية الفيض ، من حيث إن إثبات الإرادة يقود حتما إلى القول بأمرين هما : الأول القول بمرجح

---

(١) كتاب الرد على الملحدين ، لوحة ٩٢-٩٣ .

(٢) المصدر السابق ، لوحة ٩٣ يمين .

دخل على الإرادة ودفعها إلى اختيار الفعل في هــذا الوقــت دون غــيره ، والثاني القول بسبق الله على العالم بالذات لا بالزمان ، وهذا مـــا يرفضـــه المهدي تماما لان الله سبحانه عنده يسبق العالم بالذات وبالزمان .

وننتقل إلى نقطة أخرى تتعلق بهذا البحث وهي مشكلة الزمن المـاضي وهل هو متناه أم غير متناه ؟ في الإجابة على هذه المشكلة يرى ابن رشـد - مع أرسطو - أنه متناه كالحال في المستقبل ، وذلك ليؤكد نظريته في قدم العالم فيبرهن على عدم أولية الزمان قائلا لمن يزعمون أن للزمان بدايــة : " حدوث الزمان هل كان يمكن فيه أن يكون طرفه الذي هو مبدؤه أبعد مــن الآن الذي نحن فيه ؟ فإن قالوا : ليس يمكن ذلك فقد جعلوا مقدارا محـدودا ، لا يقدر الصانع اكثر منه ، وهذا شنيع ومستحيل عندهم ، وإن قالوا : انه يمكن أن يكون طرفه ابعد من الآن من الطرف المخلوق ، قيل : وهل يمكن في ذلك الطرف الثاني أن يكون طرف ابعد منه ؟ فإن قالوا : نعم ، ولابـــد لهم من ذلك ، قيل : فهاهنا إمكان حدوث مقادير مـــن الزمـــان لا نهايـــة لها"(1).

وعلى الرغم من أن المهدي قد سبق ابن رشد إلى القول بان الزمـــان يقترن بالحركة التي تقترن بالمادة ، أي أن الزمان مخلوق مقترن بالمادة ، إلا أن الغايات قد افترقت فغاية ابن رشد أن يؤكد أن الله يتقدم على العـــالم بالذات لا بالزمان ، أي يؤكد قدم العالم من حيث انه لم يكن قبل العالم زمان ، أما غاية المهدي فهي أن يؤكد أن العالم مخلوق له بداية زمنيـــة ، وان الزمان الماضي له بداية ، وفي ذلك يقول " فان قال اخبرني عن الله لم لـــم

---

(1) ابن رشد : تهافت التهافت ، القسم الأول ، ط ٣ ، تحقيق د . سليمان دنيا ، طبعة دار المعارف بمصر د . ت ، ص ١٠٠ – ١٠١.

يخلق خلقه قبل أن يخلقهم ؟ قيل له ولا قوة إلا بالله : هذه مسألة تستحيل ولا تثبت عند أحد من أهل العقول لأنك قلت يخلق الخلق قبل أن يخلقه فأوجبت أن قبل الخلق زمانا متقدما والله خالق الزمان والمكان والحين والأوان وهو الأول الذي لا قبل لأوليته ولا كيف لأزليته كان في حال القدم ... لا عقل ولا معقول سواه ، ولم يكن معه أزمنة ولا شهور ولا ساعات ولا أمكنة ولا أوقات ولا علم ومعلوم ولا فهم ولا مفهوم ولا وهم ولا موهوم "(١).

فإذا ما سئل المهدي : خلق الله للكون هل كان بعلة أو بقصد وإرادة ؟ يجيب المهدي على ذلك بقوله : " أن العلة لازمة بغير إرادة المعلول ، وما كان بغير إرادة فلم يقصده وما كان غير مقصود فلم يعمده وما كان غير معتمد لم يخل من أن يكون قديما أو محدثا . فان كان محدثا فالمحدث له لا يخلو من يكون عنه جاهلا مضطرا إلى الجهل أو ربا عالما بالفعل . فان كان هذا الصنع من علة بغير قصد ولا مشيئة فهذا محال لان العلة لا توجب حكمة بالغة ولا نعمة سائغة ، لان العلة ضرورة بني عليها المعلول وليست توجب حكمة عند أهل العقول وما كان مضطر فهو ممنوع من الاختيار وما كان ممنوعا ملجأ إلى الاضطرار فصانعه بخلافه في جميع الأمور بفضل الفاطر على المفطور وان هذا الصنع من رب عالم صنعه بعلمه واختياره وأوجبه بقوته واقتداره وجاد على البرية بإظهاره غير مضطر إليه ولا مكره بالعلل عليه فذلك مجري العلل في المعلولات وصانع جميع المصنوعات وفاطر الأرض والسماوات "(٢).

---

(١) كتاب الرد على الملحدين ، لوحة ٩٣ شمال.

(٢) المصدر السابق ، لوحة ٩٣ – ٩٤ .

إذن يعتبر هذا الكلام المهدي رفضا لكلام فلاسفة الفيض . يقول ابن سينا عن كيفية وجود العالم (الممكن بذاته) : والسؤال الآن هو: كيف وجد العالم (الممكن بذاته قبل وجوده) عن الله الذي هو علة وجوده ؟ هل وجد عن قصد واختيار فيكون العالم بذلك حادث أم كيف وجد ؟في الإجابة على هذا يرى ابن سينا أن الاختيار بالمعنى الذي يستلزمه الحدوث يستلزم النقص عليه ، لأنه يؤدي إلى أنه مستكمل بغيره فيكون ناقصا والنقص بالنسبة له محال. وفي ذلك يقول ابن سينا : لماذا يختار الفاعل الفعل؟ هل من غير غرض فيه ؟ أن ذلك غير متصور لان الاختيار والقصد يستلزم غرضا من الفعل ويرمي إلى تحقيقه وإلا لما اختاره ؟ وفي هذه الحالة لا نجد إلا فروضا ثلاثة نستطيع أن نقول أن الفاعل يقصد إحداها من الفعل : فهو إما أن يقصد الفعل لشيء يعود إليه ، أو لمصلحة تعود إلى غيره ، أو لان الفعل في نفسه حسن وواجب فيجب أن يفعل . هذه هي الفروض الثلاثة وليس ثمة رابع . ولكن لو نظرنا إلى الفرضين الثاني والثالث ... لوجدنا أن ذلك غير كاف في اختيار الفاعل للفعل إلا إذا أحس من نفسه بأن في ذلك مصلحة له مادية كانت أو معنوية كثناء ومدح أو لأنه يشعر بأن الواجب عليه أن يختاره لان هذا هو ما يحسن به ويليق بذاته ، وعلى ذلك لا يمكن أن يتصور قصد من الفاعل على فعل معين إلا إذا كان هذا الفعل مكملا له ، إما لأنه يحسن به أن يفعله ، أو لأنه يحقق له المصلحة ، وعلى أي حال فالفاعل بالقصد لابد أن يستفيد من الفعل إما كمالا له أو مصلحة تعود إليه ، وهي كمال له أيضا ، فالفاعل بالقصد مستكمل بغيره لاشك ، وعلى ذلك فلو كان الله فاعلا بالقصد ... فهو مستكمل بهذا الفعل على كل

حال ، وفعله غيره فيكون مستكملا بالغير ، ولكن الله لا يصـــح أن يكـــون مستكملا بالغير وذلك لأننا اتفقنا جميعا على انه غنى وملـــك وجـــواد [1].

وهذا كلام مرفوض لان فيه- على ما يرى المهدي - نفي للحكمـــة ، وهـــو بهذا يؤكد أن الله خلق العالم بإرادته الحرة التي لا تدل على أي اضطرار .

فإذا ما سئل المهدي كيف خلق الله الخلق ؟ أجـــاب بقولـــه : " هـــذه المسألة تشتمل على وجوه كثيرة : فمن ذلك أن يكون السائل أراد بقولـــه : كيف خلق أي كيف أسعده الخلق وتهيأ له ، ومن ذلك أن يكون أراد بقوله : هل خلقه بحيلة ... فهذا محال لا يجوز عليه ولا ينسبه علام إليه . وان أراد بذلك انه خلق بعلة فهذا محال لان العلة لا تخلو مـــن صفـــات المحدثـــات والمحدثات لا تخلق أمثالها ولا توجب أشكالها لان المحدثات هي الأجســـام والأعراض والجسم لا يخلق جسما ولا يوجد لحما ولا دما . وان أراد كيـــف خلق تريد بذلك أي كيف تهيأ له الخلق فالجواب في ذلك أن الخلق تهيأ لـــه بالقدرة التي لا كيف لها "[2] وفي كلام المهدي هذا رفض لنظرية الفيـــض التي قال بها الفارابي وابن سينا ، والتي تجعل وجود العالم فيضا ضروريـــا لازما لذات البارئ لا لإرادته ولا لقدرته ، وهذا الكلام مرفوض لأنه ينفـــي الحكمة عن البارئ تعالى الذي ما خلق الخلق إلا " لإظهار حكمته "[3].

(ب) ما ينبغي أن ينفى عن الله من صفات :

يرى المهدي أن العقل كفيل بأن ينفي عن الله كل صفـــات النقـــائص ، وهي :

---

(١) ابن سينا : الإشارات، جـ٢، ص ٣وما بعدها.

(٢) كتاب الرد على الملحدين ، لوحة ٩٤ شمال .

(٣) المصدر السابق ، لوحة ٩٥ شمال.

١ ـ في نفي الموت والجهل عن الله :

الله حي لا يمكن أن يوصف بالموت أبدا لانا نظرنا إلى الخلق فإذا هو متصل تام محكم متقن فعلمنا انه صنع حكيم حي لان الميت لا يقي نفسه فضلا عن غيره ومحال تدبير من هو ميت والحكيم لا يكون إلا حيا والميت لا علم له ولا قدرة ولا إرادة ولا حكمة "(١). وأيضا فأن " أصل الحكمة عند جميع أولي الألباب فإنما هي إصلاح الأسباب بالأسباب فلما وجدنا الأشياء مصلحة بطبائعها دلنا الإصلاح على حكمة صانعها لان الطبائع جعلت لمنافعها فعلمنا أن المتفضل عليها بنعمها حي عالم بضعف أجسامها لأنه لو كان ميتا جاهلا بفاقتها لما اهتدى إلى إصلاح قوام حياتها لانا نجد الموت والجهل يوحيان الفساد ولا يدركان تدبير أمور العباد "(٢).

٢ ـ في انتفاء الحد عن الله :

يرى الإمام المهدي أن الله سبحانه ليس له حد أو نهاية أو أمد أو غاية " لان كل محدود لابد له من محدد أحاط به وكل ذي عدد لابد له من معدود وربنا ليس بذي حد به يحد ولا بذي أخر يعد "(٣).

٣ ـ في رفض الجهة :

ومن منطلق رفضه للحد في الله تعالى يرفض المهدي أيضا أن يكون الله في جهة : " فان قال ففي أي الجهات هو أفوق كل شيء أم تحت كل شيء أم هو محيط بكل شيء أم هو في كل شيء أم هو مع كل شيء ؟ قيل له ولا قوة إلا بالله : مسألتك تحتمل ثلاثة اوجه : إما أن تكون عنيت ذاته ،

(١) كتاب الرد على الملحدين ، لوحة ٩١ شمال – كتاب شواهد الصنع ، لوحة ٧٣ يمين.

(٢) كتاب الطبائع ، لوحة ٢٥ – ٢٦.

(٣) كتاب الرد على الملحدين ، لوحة ٩٢ يمين.

وإما أن تكون عنيت علمه وإما أن تكون عنيت قدرته . فان قلت عنيت بقولك قدرته فهو لعمري فوق كل شيء قاهر وذلك قوله سبحانه : { وهو القاهر فوق عباده } . وان كنت عنيت بفوق وتحت ومحيط وفي ومع تريد علمه فهو لعمري كذلك محيط بكل شيء لا يخلو منه شيء ومع كل شيء لا يخفى عليه شيء . وان كنت عنيت ذاته فمحال أن يكون محادا للعالم فيكون مجزا... لأنه إذا كان فوق العالم فالذي يحاد العالم منه اسفل ، وإذا كان تحت العالم فالذي يحاد العالم منه أعلى ، وإذا كان محيطا فالعالم منه في كل أو بعض والكل والبعض من أوصاف المخلوقين . وكذلك إذا كان في العالم كان العالم له محلا ومسكنا وملجأ ومعقلا وكان مكانه اكثر منه وكان محدودا والمحدود لابد له من محدد لأنه إذا أحاط به المكان فله غاية ومنقطع ، وما كان له منقطع فله قاطع لان المقطوع مفروغ منه والفراغ من صنع المحدد القاطع للمحدود المتناهي وهو الله محدد الأجسام وقاطعها "(1). ولكل ذلك يرفض المهدي أن توجد ذاته سبحانه " في جهة من الجهات فتوصف بصفات الميتات "(2).

٤ ـ في نفي الزمان عن الله :

الزمان يرتبط بالمكان ضرورة ، لان الزمان ــ كما سبق وبينا ــ هو مقياس الحركة ، وإذا انتفت الحركة انتفى الزمان ضرورة ، ومادام الله لا يوجد في مكان فلابد أن ينتفي عنه الزمان أيضا ولذلك إذا سأله سائل فقال : " هل تحصي تقدم الله قبل خلقه ؟ ... أجاب بقوله : " هذا محال لا يجوز على الله سبحانه لان تقدم الله هو قدمه وقدمه ذاته وذاته لا توصف بقلة

(١) المصدر السابق ، لوحة ٩٠.

(٢) المصدر السابق ، لوحة ٧٧ يمين .

ولا كثرة ولا عدد ولا أمد ولا حد ، وقدم الله لا يفهم ولا يـــدرك ولا يعلـــم "(١).وكذلك إن سأله فقال : " فأيهما اكثر إقامته قبل أن يخلق أم إقامتـــه بعد أن خلق ؟ قيل له ولا قوة إلا بالله هذه مسألة محال لا يصح بها اعتقـاد ولا مقال لان الإقامة من صفات المخلوقين وليست من صفات رب العـالمين والإقامة فإنما هي الحركات والسكون "(٢).

٥ ـ في عدم رؤيته :

إذا كان الله سبحانه لا يحده المكان ولا يحويه الزمان فلا يمكن أن نراه ، أذن " فكيف نعتذر بان لا نراه ؟ هنا يجيـــب المـــهدي بقوله : " اعلم إيه السائل أنا لو رأينـــاه لمـــا عبدنـــاه وذلـــك أن الإبصار لا تقع إلا على مفترق أو مجتمع ولم يستدل علـــى الله إلا بالمفترق والمجتمع لأنهما محدثان ولا بد للمحدث من خالق أحدثه ولا بد أن يكون بخلافه من جميع المعاني . فان قال فبما عرفتـه ؟ قيل له ولا قوة إلا بالله : بما هو أولا وأحق بالإبصار من جميـــع الأخبار . فان قال وما ذلك ؟ قيل له ولا قوة إلا بالله : ذلك العقل الـذي لا يجوز عليه المحال ولا يقبل ما فسد من المقال ، فلو أدركنا صنـــع جميـــع الأشياء مشاهدة رأى أعينا لما كان ذلك أبدا مثل العقل "(٣).

(١) المصدر السابق ، لوحة ٩٤ شمال.

(٢) المصدر السابق ، لوحة ٩٣ يمين.

(٣)كتاب شواهد الصنع ، لوحة ٧٤ يمين.

تعقيب :

أولا : لقد قدم الإمام المهدي مذهبا في الصفات أصاب في بعضه وأخطأ في بعضه على ما سنوضح :

أ- إن المهدي - كشأن المعتزلة وأسلافه من الزيدية - قد وحد بين الذات والصفات ، وفي هذا الخطأ كل الخطأ لأننا لم نطلع على الذات الإلهية ، وبالتالي فهذا خوض فيما لا علم لنا به ، بينما الواجب علينا أن نقر بان بصفات التي أثبتها لنفسه ونقول : " أن لله صفات لا نعلم أهي الذات أم غيرها " .

ب - إن قول المهدي هذا لا يقل - في نظر الباحث - شناعة عن قول الكلابية[1] وبعض الأشعرية في أن الصفات ليست هي الذات ولا غيرها ، لان هذا أيضا خوض في الله وهو شديد المحال .

جـ - مما سبق يتضح أن المهدي قد وحد بين الإرادة والفعل في الله سبحانه ، وهو يهدف من وراء ذلك إلى عدة أمور منها :

١- لكي يميز بين الله وخلقه في الفعل والإرادة ، فبينما فعل الله وإرادته شيء واحد في الله ، نجدها في الإنسان شيئين يسبق أحدهما الآخر ضرورة وهما : الإرادة أو الضمير ، والثاني : الفعل والذي يأتي متأخر عن سبق الإرادة .

---

(١) الكلابية نسبة إلى عبد الله بن سعيد بن محمد أبو محمد بن كلاب (ت بعد عام ٢٤٠هـ) وكلاب مثل خطاف لفظا ومعنى ، بضم الكاف وتشديد اللام ، لأنه كان لقوته في المناظرة يجتذب من يناظره ، كما يجتذب الكلاب الشيء [السبكي : طبقات الشافعية ، جـ ٢ ، ص ٢٩٩].

٢ - إن المهدي يهدف من وراء هذا التمييز إلى إثبات حرية الإرادة الإنسانية ، والفعل الإنساني الذي يحتاج إلى الآلات والأدوات ، بينما فعل الله لا يحتاج إلى الآلات والأدوات لأنه يفعل بقوله للشيء كن فيكون .

ولكن يؤخذ على هذا المذهب أشياء كثيرة منها :

١ - إن القول بوحدة الفعل والإرادة يدخل الإله في آلية عدم الاختيار ، إذ انه ينفي الإرادة عنه سبحانه إذ أن كل فعل لابد أن يسبقه بالضرورة إرادة لهذا الفعل أو ذاك ، أو انه يجعل وجود الموجودات ضرورة عن الله من حيث إن الله يفعل ضرورة عندما يريد ، وهذه آلية تذكرنا بآلية الفيض عند فلاسفة الفيض ، والذين يجعلون العلم بالشيء علة فيضه أو خروجه من حالة الإمكان إلى حالة الوجود .

٢ - إن القول بوحدة الفعل والإرادة يلزم المهدي - وأسلافه من المعتزلة والزيدية - بإلزام القائلين بالفيض - كالفارابي وابن سينا - في قولهم بضرورة مرجح يجعل الإرادة تفعل هذا الفعل أو ذاك ، إذ ما الذي جعل الإرادة تفعل في هذا الوقت دون غيره ، ولكن سبق الإرادة على الفعل يحل هذا الإشكال تماما .

٣ - إن في قول المهدي بوحدة الإرادة والفعل فيه خلط بين اختصاصات كل من الإرادة والقدرة ، إذ من شأن الإرادة الاختيار ، اختيار الشيء الذي يراد فعله والزمان الذي يخرج فيه إلى الوجود ، ومن شأن القدرة الفعل في ذلك التوقيت الذي أراده الله كما قال تعالى :

{وربك يخلق ما يشاء ويختار }، ولعل هذا الخلط قد جاء كنتيجة طبيعية لتوحيده بين الذات والصفات .

٤- إن المهدي ينطلق في هذا القول من مذهبه في إثبات الحرية الإنسانية ، من ناحية تمييزه بين الفعل والإرادة في كل من الإله والإنسان من حيث انهما يحتاجا في الإنسان إلى الضمير والآلات وليس الأمر كذلك في الإله سبحانه . ولا نختلف مع المهدي في أن هناك فارق جوهري بين الله والإنسان هو فارق الخالق والمخلوق ، ولكننا نختلف معه فيما ترتب على هذا من أمور قد تفارق العقل والشرع معا مثل : " حصر المهدي وأسلافه من الزيدية والمعتزلة لفعل الله في الحسن دون غيره ، وفي الخير دون غيره " هذا في الوقت الذي تتسع فيه حرية الإنسان وأرادته في اختيار الحسن والقبيح والخير والشر ، وبذلك تصبح إرادة المخلوق أوسع اختصاصا من إرادة الخالق سبحانه ، وفعل المخلوق أوسع قدرة من فعل الخالق الذي لا يمكنه إلا فعل الخير فقط ، وبهذا يدخل الإله في الجبرية التي أراد أن يخرج منها الإنسان .

٥- إن كل هذه الأقوال ما هي نتاج طبيعي لالتزامه العقلي اكثر من التزامه بالنص القرآني ، وذلك كالتزامه بوحدة الذات والصفات ، ووحدة الفعل والإرادة ...الخ

الفصل السابع

النبـــــوة والإمـــامــــة

في هذا المبحث يواصل المهدي نزعته العقلية فيؤكد أن مسـألة النبـوة والإمامة هي أمور عقلية ، بمعنى أنها ضرورة في اصـل العقـل قبـل أن يؤكدها النص المنزل ، الأولى لإبلاغ الناس أمر الله والثانية للحفاظ علـى استمرار هذا البلاغ ، وسنوضح ذلك على النحو التالي :

أولا : مسـألة النبـوة والرسـالة :

١- معنـى النبـي وشـرائطه :

يقول الإيجي : " هو لفظ منقول من العرف عن مسماه اللغوي ، فقيـل هو المنبئ من النبأ لإنبائه عن الله تعالى ، وقيل من النبوة وهو الارتفـاع لعلو شأنه ، وقيل من النبي وهو الطريق لأنه وسيلة إلى الله تعالى . وأمـا في العرف : فهو عند أهل الحق من قال الله له أرسلتك ، أو بلغـهم عنـي ونحوه من الألفاظ ، ولا يشترط فيه شرط ولا استعداد ، بل الله يختـص برحمته من يشاء من عباده وهو اعلم حيث يجعل رسالته "(١) .

أما المهدي فيرى أن النبي لابد أن يتوافر فيه شرطان ناجمـان عـن طاعته وصبره ، وفي ذلك يقول : " فان قال فمن أين جاز أن يتنبأ بعـض الخلق دون بعض ؟ قيل له ولا قوة إلا بالله لان التنبؤ ثـواب وتفضيـل ، والثواب والتفضيل لا يكونان إلا بفعل الطاعة والصبر على المحنة "(٢) .

وهذا يعني أن كل نبي أو رسول لابد أن يختبر قبل النبـوة ،وهـذا غـير صحيح لان النبوة باختيار الله سبحانه فليس فيها استحقاق لأحد على عمله بل هي تفضل ، وقولهم هذا يذكرنا بقول المعز الباطني الذي كان يـرى أن

---

(١) الإيجي : المواقف ، ص ٣٣٧ .

(٢) كتاب شواهد الصنع ، لوحة ٧٥ يمين .

النبوة استحقاق على العمل والتحصيل العقلي للمعارف الذي قام به الإنسان في دورة كونية سابقة [1] . ولو كان الأمر كذلك لاستحق النبوة خلق لا يحصى عددهم .

٢ ـ الدلائل العقلية للنبوة :

يرى منكروا النبوة أن إرسال الرسل غير ممكن من الناحية العقلية ويستدلون على ذلك بقولهم : " أن الله سبحانه حكيم والحكيم إذا علم انك لا تجبه فلا يرسل إليك إلا وهو غالب ... فيقال لهم ليس الأمر كما توهمتم ولكن إذا علم الحكيم انه قد أعطاك قوة تفعل بها ما أمرك بفعله وتترك ما أمرك بتركه ثم أرسل إليك فلا يرسل إليك إلا وهو يعلم انك لك قوة إلى فعل ما أمرك بفعله وترك ما أمرك بتركه . ويقال لهم أعلم الله مانع له من إرسال الرسل أم علمه مانع لكم من طاعته ؟ فان قالوا أن علمه منعه جعلوه ممنوعا مضطرا مدفوعا وجعلوا العلم شيئا مانعا ولحجته دافعا فسبحان الله عما يشركون وإنما علمه ذاته . وان قالوا أن علم الله مانع لهم من طاعته فقد أحالوا في قولهم لان العلم هو الله والله حكيم والحكيم لا يمنع المطيعين من طاعته "[2].

إذن فحجج منكري الرسل واهية ضعيفة يأباها العقل السليم الذي والذي يقدم الكثير من الدلائل التي تؤكد ذلك :

١- دليل اختلاف وتشاجر أهل دار البلوى :" أن دار البلوى لا يخلو أهلها من التشاجر في أحكامهم وأديانهم واختلاف آرائهم وأهوائهم

---

(١) ينظر في ذلك بحثنا " التأويل وأبعاده العقائدية والفلسفية عند المعز لدين الله الفاطمي " المنشور بمجلة كلية الآداب بحلوان ، عدد سنة ١٩٩٩م .

(٢) كتاب الرد على الملحدين ، لوحة ٨٨ شمال .

، وإذا كانوا من الصفة على ما ذكرنا وكانوا من الاختلاف على ما به قلنا فلا بد للحكيم من أحد وجهين : إما أن يختار لهم أحكامهم على حكمه ويصطفي جهلهم على علمه ، وإما أن يحكم علمه على جهلهم وينفي بحكمه باطل حكمهم وان لم يكن بد من كتاب يحكم بينهم ويبين لهم ما التبس عليهم فلا يعلم أبين من قوله وما انزل من الهدى على رسوله صلى الله عليه وعلى اله وسلم ، وإذا كانوا من الاختلاف والأهواء على ما قدمنا وفي قلة الاتفاق على ما شرحنا لم يؤمن من يلبسوا بذلك على من يريد النجاة بجهلهم ويبطلوا الحق بأسوا فعلهم فمن هاهنا وجب على الحكيم تبارك وتعالى أن يرسل في كل قرن من القرون رسولا ليبين لهم ما فيه يختلفون وينفي من الباطل ما لبَّس الضالون "(١).

٢- دليل أن التعبد ضرورة من ضروريات وجودنا خلقنا الله من أجلها ، " وإذا لم يكن بُد من التعبد ولم يكن ذلك إلا بأمر ونهي فلابد من رسول "(٢).

٣- دليل التفريق بين المطيعين والمسيئين والعاصين إذ لم يكن من حكمة الحكيم أن يساوي بين المحسنين والمسيئين(٣).

٤- دليل مقتضى الحكمة : " والدليل على أن للصانع رسولا انه حكيم والحكيم لا يهمل خلقه من الآمر بالخيرات والنهي عن المنكرات ولا

---

(١) كتاب الطبائع ، لوحة ٢٦ – ٢٧.

(٢) كتاب شواهد الصنع ، لوحة ٧٠ شمال .

(٣) كتاب الرد على من جحد الله ، لوحة ١٠ شمال .

يكون ذلك إلا كلاما مسموعا فوجب أن يرسل إليهم رسولا مسمعا"(1).

٣- إثبات نبوة محمد :

يواصل المهدي نزعته العقلية في إثبات أمور الشرائع بالدلائل العقلية ، فيرى الإمام - ومن منطلق عقلي - في معرض رده على من أنكر نبوة محمد من اليهود والنصارى " فان رجع إلى قول اليهود فقال وما أنكرتم من أن تكون النبوة لموسى عليه السلام من دون محمد صلى الله عليه وآله ؟ قيل له ولا قوة إلا بالله : أنكرنا ذلك لأنهما نبيان جميعا لا فرق بينهما . فان قال فبما صحت لك نبوة محمد صلى الله عليه وآله ؟ قيل له ولا قوة إلا بالله : بمثل ما صحت لك نبوة موسى . فان قال صحت لي نبوة موسى بالمعجزات قيل له ولا قوة إلا بالله وكذلك صحت نبوة محمد صلى الله عليه وآله بالمعجزات . فان قال وما علمكم بصدق الرواة ؟ قيل له ولا قوة إلا بالله كعلمك بصدق الرواة ، ودلنا أيضا على صدقهم القرآن الذي أتى به نبينا صلى الله عليه وآله فعجز الخلق أن يأتوا بمثله أو سورة من مثله وفيه تصديق نبوة موسى وعيسى صلى الله عليهما وعلى الأنبياء أجمعين . فان قال وكذلك صحت نبوة موسى بأجمعكم معنا ونحن غير مجمعين معكم . قيل له ولا قوة إلا بالله كلامك هذا فاسد لان اجمعنا معكم على نبوة موسى صلوات الله عليه طاعة منا لربنا نستحق بها منه ثوابه ، وجحدانكم لنبوة محمد صلى الله عليه وآله معصية تستحقون بها منه عذابه ، وكذلك الرد عليه إن كان نصرانيا أو مجوسيا "(2).

---

(1) كتاب الرد على عبدة النجوم ، لوحة ٢٢ يمين.

(2) كتاب الرد على الملحدين ، لوحة ٩٦ .

وإذا ثبتت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وثبت انه آخـر الرسـل فلابد أن تكون رسالته عالمية ، وفي ذلك يقول : " فان قال - قائل - فلمـا ختم النبوة بمحمد صلى الله عليه وعلى آله ؟ قيل له ولا قـوة إلا بـالله ك لأنه لم يخرج من الحكمة إذ جعله تدبيرا لجميع الباقين وحجة إلى يوم حشر العالمين "(١).

ثانيا : مسألة الإمامة :

يعتبر الإمام المهدي اكبر من عرض إمامة الزيود في اليمن إلى حـرج بالغ ، إذ ظل أئمة الزيدية يعتقدون بعصمة الإمام وأنها شرط ضروري مـن شروط الإمام إلى أن جاء هذا الإمام المهدي فأحدث أمورا تخرجه من شرط العصمة ، ولقد كان لهذا الأمر نتيجتين : أحدهما - كما سـبق وأشـرنا - تتمثل في اختلاف كبار مؤرخو الزيدية وعلماؤها حوله ، وهـل هـو مـن الأئمة أم انه أحد أدعياء الإمامة . والثاني : أن المهدي لم يعـد العصمـة شرط من شروط الإمامة ، وتجاهل هذا الشرط تجاهلا تاما مما جعله اقـرب إلى الواقع الإنساني الذي لا يعرف عصمة إلا للأنبياء والرسل فقط ، كمـا جعله مفكرا يحترم العقل الذي لا يؤمن بمثل هذا الهراء الفكري الذي يجعـل الله سبحانه يجامل طائفة على حساب البشر .

وحتى يتضح موقف الإمام المهدي هذا ، ويتضح أبعاد مذهبـه فـي الإمامة سنعرض للآتي :

---

(١) كتاب شواهد الصنع ، لوحة ٧٥ يمين .

١- تعريف الإمامة :

" الإمامة - كما يقول الايجي - هي خلافة الرسول في إقامة الدين بحيث يجب اتباعه على كافة الأمة "[١]. وهذا التعريف هو نفس تعريف المهدي الذي يبن أن الإمام هو : " الحجة بعد نبينا صلى الله عليه وسلم اقدر الخلق على القيام بأمور الدين وكمل جميع المسلمين "[٢] ، فهذا النص يبين أن الإمام هو خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمور الدين .

٢- وجوب نصب الإمامة :

إن نصب الإمام عند الأشعرية واجب سمعا . وعند الزيدية والمعتزلة واجب عقلا ... وقالت الإمامية والإسماعيلية : بل على الله ... وقالت الخوارج : لا يجب أصلا[٣].

ويرى الإمام المهدي رأي الزيدية والمعتزلة في أن الإمامة واجبة عقلا فيقول : " فان قال : " فهل الإمامة اصل في العقول ؟ قيل له ولا قوة إلا بالله : نعم اصل الإمامة في العقول لان الحكيم قد علم بان لابد من الاختلاف بين المخلوقين ، فجعل في كل زمان إماما حيا مترجما لغوامض الأمور مبينا للخيرات من الشرور ولا يعدم ذلك في كل قرن من القرون أما ظاهرا جليا أو مغمورا خفيا . فان قال وما الظاهر الخلق وما المغمور ؟ قيل له ولا قوة إلا بالله أما الظاهر فالسابق المنذر لجميع الخلائق والشاهد

---

(١) الإيجي : المواقف ، ص ٣٩٥ .

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

لسبقه المصلح لله في عباده وبلاده . وأما المغمور فالمقتصد المحتج لله في جميع العباد الآمر بالمعروف والناهي عن الفساد بغير قيام ولا جهاد "(١) .

٣-في من تكون الإمامة :

يرى المهدي أن الإمامة لابد أن تكون في أهل بيت معروفين حتى لا يضل الناس ولا يختلفوا في طلب الإمام ، وفي ذلك يقول : " أن دار البلوى لا يخلو أهلها من التشاجر في أحكامهم وأديانهم واختلاف آرائهم وأهوائهم ... وإذا كانوا من الاختلاف والأهواء على ما قدمنا وفي قلة الاتفاق على ما شرحنا لم يؤمن من يلبسوا بذلك على من يريد النجاة بجهلهم ويبطلوا الحق بأسوا فعلهم فمن هاهنا وجب على الحكيم تبارك وتعالى أن يرسل في كل قرن من القرون رسولا ليبين لهم ما فيه يختلفون وينفي من الباطل ما لبَّس الضالون . وإذا كان ذلك واجبا عليه لحكمته لم يؤمن أهل التمويه من بريته أن يلبسوا الناس بدعوى رسالته فمن هاهنا وجب أن يخص بالإمامة أهل بيت معروفين وبصحة النسب عند الخلائق مشهورين ليكذب الناس مدعي ذلك من غيرهم ، ويكون الطلب للإمام في بعضهم ايسر من الطلب في كلهم وأبين للمرتادين وأهون على المتعبدين من أن يطلبوه في الخلائق أجمعين . مع انه لو كان ذلك في جميع الناس لوقعوا في اعظم الالتباس لكثرة دواعي الفاسقين واغتيال الظلمة المنافقين ، . ولما كان ذلك واجبا على الحكيم نظرنا في قوله فوجدناه قد افترض مودة ذوي القربى من رسوله ، ووجدناه اقرب القرابة إليه واسبقهم وأعظمهم عليه وأجداهم في الجهاد بين يديه واحبهم إلى الله واليه عليّ بن أبى طالب أمير المؤمنين عليه صلوات رب العالمين ، ثم وجدنا اقرب قرابته وأخصهم بنسبه وولادته

(١) كتاب شواهد الصنع ، لوحة ٧٥ شمال .

السبطين ابني الرسول الطاهرين صلوات الله عليهما وعلى أبيهما وأمــــهما وعلى من طاب من ذريتهما ، ثم وجدنا الرسول صلى الله عليه قد خصــهما بنسبه وولادته فعلمنا أن ذريتهما اقرب قرابته ... فهم اقرب قرابة الرسول وأحقهم بنسبه عند أهل العقول "(١).

ويقول أيضا : " فان قال فهل الإمامة في أهل بيت دون غيرهم أم فــي جميع الناس كلهم ؟ قيل له ولا قوة إلا بالله : بل هي في أهل بيت معروفين مخصوصين بالفضل مشهورين معلومين غير مجهولين . فان قـــال ومـــن أولئك ؟ قيل له ولا قوة إلا بالله أولئك نسل البتول واقرب قرابة الرســـول . فان قال فهل لهذه الخصيصة اصل في العقول ؟ قيل له ولا قوة إلا بــــالله : نعم اصل ذلك في العقول وبعد ذلك في محكم التنزيل ... فان قال وكيف يعقل أن تكون الإمامة في قوم دون سائر الأنام ؟ قيل له ولا قوة إلا بـــالله : لان الله عز وجل حكيم والحكيم لا يحب الفساد والإفساد اعظم من أن يجعل دينه في أيدي الخلائق وأمره ونهيه وحدوده وحلاله وحرامه ووعـــده ووعيـــده وحجته وأحكامه فيهمل الكل ويلبس عليهم دينـــه إذا جعـــل الإمامـــة فـــي جميعهم ولم يكن ذلك في قوم بأعينهم مخصوصين بذلك من دون غــــيرهم حتى لا يختلف فيهم فهذا في العقول "(٢) .

والحق أن هذا الكلام في غاية الضعف والسقوط ، فالعقل يأباه وينفـــر منه وينزه الله سبحانه عنه ، نعم هذا كون الله وخلقه ، ولو قال ذلك فـــي نص واضح الدلالة لامنا به وصدقناه ، أما وان هذا النص لم يوجد فـــالعقل هو الحكم ، وعقولنا - مع كامل احترامنا لآل البيت - تأباه وتنفـــر منـــه ،

---

(١) المصدر السابق ، لوحة ٧٥ شمال .

(٢) المصدر السابق ، لوحة ٧٥ .

خاصة وان الله لا يجعل القرابة شرطا للتفضيل والقرب منـــه بـل يجعـل التقوى ، وفي ذلك يقول : { إن أكرمكم عند الله اتقاكم }[الحجـرات / ١٣]، وهذا ما أكده النبي صلى الله عليه وسلم حين قال : " ليس لعربي فضـل على أعجمي إلا بالتقوى " .

ومن هاهنا - وكما يرى المهدي - فالإمام الحق بعد النبي صلـى الله عليه وسلم هو على بن أبي طالب ، وفي ذلك يقول : " الحجة بعـد نبينـا صلى الله عليه وسلم اقدر الخلق على القيام بأمور الديـن وكمـل جميـع المسلمين ، ولم يعلم ذلك غير أمير المؤمنين على بن أبـي طـالب عليـه صلوات رب العالمين "(١) ، ثم الأحق بها بعد على كرم الله وجهه ذريته من بعده ، وفي ذلك يقول : " واشهد بإمامة ولديه الحسن والحسين ابني رسول الله الفاضلين واشهد أن الإمامة من بعدهما فيمن طاب من ذريتهما وسـار سيرتهما واحتذا بحذوهما واقتدى في دينه بهما "(٢).

وهذه مسألة عقيدية لا يسع كل مسلم إلا أن يؤمن بها وإلا فقد كفـر ، وفي ذلك يقول : " فان رجع إلى الحق واخبر بكلمة الصدق وجحد الإمامـة فهو مشرك لان الإمامة فرض من الله لا يسع أحد جهلـها لان الحكيـم لا يهمل خلقه مع ما بدا من اختلافهم من الحجة على من صد من الحق منـهم والهداية لمن طلب النجاة من أوليائه والبيان لتلبيس أعدائه وإلا فقد سـاو بين حقهم وباطلهم "(٣) ، وبهذا يتضح أن موقف المهدي من الإمامة هـو موقف الشيعة جميعا الذين يرون أن الإمامة ليست قضية مصلحيـة تنـاط

(١) كتاب الرد على الملحدين ، لوحة ٩٦ شمال .

(٢) كتاب الرد على عبدة النجوم ، لوحة ١٢ شمال .

(٣) كتاب الرد على الملحدين ، لوحة ٩٦ شمال .

باختيار العامة ، بل هي قضية أصولية وركن من أركان الديـــن لا يجــوز للرسل عليهم الصلاة والسلام إغفاله وإهماله ولا تفويضه إلى العامة[1].

وهنا أيضا أختلف مع الإمام المهدي ومن يذهب مذهبه ، فمصدر الحق الديني معروف ومحفوظ في القران والسنة ومن عرفهما يستطيع أن يهدي بهما إماما كان أو غير إمام ، أما أن نحصر الإمامة فـــي أهــل بيــت دون غيرهم فهذا يحتاج إلى دلائل قوية تقبلها العقول والنفوس ، ولكننا لم نقبـل مقالات الشيعة جميعا في الإمامة لأنها مجرد أوهام خالية الأدلة .

ويبرر المهدي مذهبه هذا لمن يسأله : " وما أنكرت أن تكون الإمامـــة بعد النبي في أهل بيته وفي غيرهم ؟ ... اصل ذلك في حجج العقـــول فـــان الحكيم لو جعلها في جميع الناس لوقعوا في اعظم الالتباس لكثرة دعـــاوى الفاسقين واغتيال الظلمة المنافقين فمن هاهنا وجب أن تكون الإمامة فـــي أهل بيت معروفين بالفضل والشرف مخصوصين "[2]. وهذا دليل ضعيـــف لان الناس لان مصدر الحق الديني - كما بينا - هو القران والسنة ، بـــل الخوف كل الخوف ، والالتباس كله كان يمكن أن يقع لو انه جعل الحق في يد قلة تهيمن عليه وتتحكم فيه ، فربما انحرفت بل ومـــن الضـــروري أن تنحرف كما انحرف الحاخامات اليهود باليهودية ، والرهبان بالنصرانيـــة . بل والإمام المهدي نفسه نموذج واضح لهذا الانحـــراف ، حيـــث زعـــم أن كلامه أفضل من كلام رسول الله ، كما زعم أن كلامه أقطع من كلام الله في مواجهة الملحدين .

---

(١) الشهرستاني : الملل والنحل ، ص ١٤٨ .

(٢) كتاب الرد على الملحدين ، لوحة ٩٧ .

لكن قد يقال وقد ينحرف غيرهم فيكونون كغيرهم ؟ وجوابنا على ذلـــك بأن الفارق بين انحرافهم وانحراف غيرهم أن انحرافهم سكون ذا حصانــــة دينية تمنع الناس من مقاومتهم بحجة أن حقهم في الإمامة حق مقـــدس لا يجب مقاومته ، أما انحراف غيرهم فلا يكون له مثل هذه الحصانة وبالتالي يسهل مقاومته وتغييره . هذا إلى جانب أن الحكم الوراثي كثيرا مـــا يـــأتي بالسفهاء والحمقى إلى سدة الحكم .

لذا فالباحث يرفض تماما مزاعم المهدي – وأسلافه الزيود - فـــي أن الإمامة يجب أن تكون في أهل بيت مخصوصين ، بل هي حـــق لكـــل مـــن يستطيع أخذها بحقها .

٤- في شروط الإمام :

وإذا كان الإمام - على ما يرى المهدي – لا يوجد في غير آل السـبطين فلابد له من دلائل يبين بها عنهم وإلا فلا فرق بينه وبينـــهم ، فمـــن تلـــك الدلائل التي تبينه عن قرابته وتشهره للناظرين عن أهل نسبته من أهل بيته أن يكون أرجحهم عقلا وأحسنهم مقالا وفعلا وأشـــــهرهم حكمـــة وفضـــلا "(١)،وان " يكون كاملا في جميع خلال الخير غـــير نـــاقص مـــن الصفـــات المحمودة ، عالما بما يحتاج إليه من السنة والكتاب ، فهما بما يحتاج إليـــه من الأسباب ، تابعا لأثار سلفه المهتدي ، مخالفا لمذاهب الضالين ، شجاعا كريما ... زاهدا ، وفي أمور الله سبحانه جاهدا "(٢).

من هذين النصين يتضح أن الشروط التي يرهـــا المـــهدي ضروريـــة للإمام هي :

---

(١) كتاب الطبائع ، لوحة ٢٦ – ٢٧.

(٢) كتاب الرد على الملحدين ، لوحة ٩٨ .

١- أن يكون ارجح أهل البيت عقلا : وهذا شرط لا غبار عليه لأننا يمكننا أن نعرف بسهولة أرجح الناس عقلا .

٢- أن يكون حسن القول والسلوك : وهذا أيضا شرط جيد وواقعي ، بمعنى أنه ممكن التحقيق في الكثير

من الناس.

٣- أن يكون أشهر أهل البيت حكمة وفضلا : وهذا الشرط أيضا أقرب إلى العقل والواقع .

٤- أن يكون كاملا في جميع خلال الخير غير ناقص من الصفات المحمودة : وهذا الشرط هو أول الشروط

الصعبة إن لم يكن من الشروط المستحيلة لان الكمال ليس سمة من سمات البشر ، فمن كمل في صفة قد ينقص في غيرها .

٥- أن يكون عالما بالكتاب والسنة : وهذا أيضا من الشروط الممكنة ، التي يمكن تحصيلها لمن أراد .

٦- أن يكون فهما لما يحتاج إليه من الأسباب : وهذا الشرط يقتضي أن يكون الإمام ملما بمعرفة علل الأشياء ، أي أن يكون قريبا من الواقع حتى يأتي حكمه صائبا وواقعيا .

٧- أن يكون تابعا لآثار سلفه ، مخالفا لمذاهب الضالين : وهذا الشرط يقرب المهدي إلى التقليد ، والحق أن هذا الشرط بعيدا كل البعد عن روح المذهب الزيدي بصفة عامة ، ومفكرنا المهدي بصفة خاصة

، فالرجل ابعد ما يكون عن روح التقليد ، بل لقد كـــان التمــرد علـــى الموروث أحد سمات هذا الرجل .

٨- أن يتسم بالشجاعة والكرم والزهد : وهذه أيضا صفات ممكنة التحقيق ، ولكن الناس يتفاوتون فيها بالضرورة ، ومعرفة هذا التفاوت من الأمـــور الصعبة ، وعليه لا يمكن أن تكون هذه الشروط مرجحة لا حد على الآخر.

وهكذا توضح هذه الصفات أن المهدي كان واقعيا وعقليـــا إلـــى ابعـــد الحدود ، وتتجلى عقلانيته وواقعيته اكثر حينما يرفض أن يخرج الإمام عن صفات البشرية ويتصف بصفات الإلهية ، فيقول لمن سأله " فما أنكرت من أن يكون يطيع بخاتمه الحصى ويعلم ما وراء الجدار وما يحدث في أفـــاق الأرض والسماء ؟ قيل له ولا قوة إلا بالله أنكرنا ذلك لان هذا الإمام الـــذي زعمت لا يخلو من أحد ثلاثة أوجه : إما أن يكون يعلم الغيـــب ، وإمـــا أن يكون يوحي إليه ، وإما أن يكون كاهنا ساحرا . فان قلتم انه كاهن ســـاحر فهذا من القول أعيبه وأفضحه على من ينتحل التشنيع على آل الرسول لان من نسب إليهم السحر والكذب فقد عابهم بأعظم العيب ومن كـــان ســـاحرا كذابا فهو ظالم { ولا ينال عهدي الظالمين }[البقرة / ١٢٤] ولا يوفـق الله الكافرين . وان قلتم وحاشى لله أن يكون كذلك ولكنه يوحى إليه خرجتم مما هو اعظم مما نفيتم وجعلتموه نبيا وجحدتم قو ل الله سبحانه : { ما كـــان محمدا أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين }[الأحـزاب / ٤٠] . وان قلتم انه يعلم الغيب خرجتم من ملة الإسلام ورجعتم إلـــى الشـــرك والآثام وقد أمر الله نبيه صلى الله عليه وعلى آله الاحتجاج على المشركين فقال { ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير ومـــا مســـني الســـوء }[

الأعراف / ١٨٨] وقال { وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي ارض تموت}[لقمان / ٢٤][1].

ومن منطلق هذه الواقعية يرفض المهدي الصفات التي تخرج بالإمام عن بشريته مثل أن يكون أعلم الناس ، ومثل شرط العصمة - التي سنقف معها بعد قليل - فهذان شرطان معرفتهما من الأمور المستحيلة أو الصعبة بدرجة كبيرة .

والمهدي بهذه الصفات يقترب كثيرا من الشروط التي اتفق عليها جمهور العلماء اللذين لم تخرج الشروط عندهم عن : " أن يكون عدلا لئلا يجور ، عاقلا ليصلح للتصرفات ، بالغا لقصور عقل الصبي ذكرا لان النساء ناقصات عقل ودين ، حرا لئلا يشغله خدمة سيده ولئلا يحتقر فيعصى ، فهذه الصفات شروط بالإجماع "[2] ، هذا بالإضافة إلى العلم بأمور الدين والدنيا مما يسهل عليه الحكم[3].

(*) موقفه من شرط العصمة :

إن رفض المهدي لشرط العصمة يعد من أهم ما يميز المهدي بالنزعة الواقعية والعقلية في جانب الصفات ، فهذا الشرط - كما قلنا - يخرج الإنسان من طابعه الإنساني ، وهذا ما يرفضه المهدي الذي يتمسك بإنسانية الإمام ، بل إن المهدي في كثير من كتبه يعترف بأخطاء وقع فيها ، ربما يكون من هذه الأخطاء زعمه الذي سبق الإشارة إليه من انه افضل من رسول الله وان كلامه اقطع من كلام الله ، وربما يكون غيرها من

---

(١) المصدر السابق.

(٢) الإيجي : المواقف ، ص ٣٩٨ .

(٣) د.عبد الكريم زيدان:معالم الثقافة الإسلامية،مؤسسة الرسالة، بيروت،طبعة عام ١٩٨٢م ، ص ١٦٠.

أخطاء ، المهم أن الرجل وقع في أخطاء وانه اعترف بذلك وانــه وبصفــة مستمرة يتوب إلى الله منها ويستغفر ربه ويرجوه الصفح والمغفرة .

يقول المهدي معترفا بأخطائه وذنوبه : " الذي نرجــوا أن يغفــر لنــا ذنوبنا ويعفوا عن هفواتنا ويتجاوز عن سيئاتنا وقبيح أفعالنا وعظيم جرمنا وسيئ أعمالنا "(١) ، ويقول في موضع آخر : " واشـــهد أن لا الـــه إلا الله وحده لا شريك له شهادة من عرفه حق معرفته وأيقن به وخضع لعبوديتــه ورجا عفوه عما سلف من خطيئته "(٢).

ويرجوا من ربه المغفرة فيقول : " فيا خالق الخلق وباســط الــرزق أسألك أن تجعل أخر حياتي وحضور وفاتي على اكمل ما يكون من طــاعتك واتباع مرضاتك والغضب لك حتى تبلغني ما له خلقتنــي وان تختــار لــي بعلمك وتقبضني على أيقن يقيني وتوفاني يا مولاي على شهادة إلا إلـــه إلا أنت الحق اليقين الصمد الواحد المبين وان ترزقني الحياة ما كانت الحيــاة خيرا لي وان تمتن علي بالوفاة في وقت طلبتي للنجاة وسلوك سبيل الهداية حتى تتم نعمتك على ... فقد علمت يا مولاي بذنبي على ما هو من عقلـــي فأسلك يا مولاي سؤال من عرفك واستدل عليك فأيقن بك أن تقيلني ما كان من عثرتي وان تغفر لي ما علمت من خطيئتي وان تجاوز عن زلتي فــهانا يا مولاي مستعد مستعينك إليك ومتوكل في كل أموري عليك ، طارح لنفسي في يدك فان عفوت يا مولاي وغفرت وعدت بفضلك فقد نجوت ، وان لـــم

(١) كتاب الرد على من جحد الله ، لوحة ٥ شمال .

(٢)كتاب الرد على عبدة النجوم ، لوحة ١٢ يمين .

تغفر لي ما سلف فمن غيرك يا مولاي يغفر لي وان لم تهدني فمن غـــيرك يهديني أو يوفقني أو يرشدني "(1) .

وهكذا يحطم المهدي شرط العصمة الذي ظل الشيعة ومازالوا يتشدقون به منذ عدة قرون وحتى يومنا هذا .

---

(1) كتاب الرد على من جحد الله لوحة ١٠ - ١١.

تعقيب :

لقد جاء تفكير الإمام المهدي في الكثير من جوانبه عقلاني وواقعي ودون أن تخرجه هذه العقلانية ولا تلك الواقعية عن مفهوم الدين الإسلامي ، ويتضح ذلك بصفة خاصة في اعترافه بإنسانية الإمام تلك الإنسانية التي اتضحت في أمرين : الأول : إقراره بان الإمام لا يعلم الغيب . والثاني إقراره بان الإمام كشأن كل البشر يقع في الذنوب والمعاصي ، ولذلك - وكما رأينا - يرفض شرط العصمة كشرط ضروري من شروط الإمامة .

ثم تجلت هذه العقلانية في أنه لم يعتمد على هذا الكم الرهيب من الأحاديث التي يعتمد عليها الشيعة ويؤولونها على مقتضى مذهبهم .

ومع هذا فقد قادته عقلانيته هذه إلى خطأ واضح ما كان ينبغي عليه أن يقع فيه ، وذلك حين ذهب إلى القول بأن النبوة استحقاق من الله للبشر على صبرهم في المحن ، وهذا غير صواب لان النبوة باختيار الله سبحانه وليس فيها استحقاق لأحد على عمله بل هي تفضل ، وقولهم هذا يذكرنا بقول أرباب الفكر الباطني ، ولذلك فقد أصاب المؤرخ القديم مسلم اللحجي (ت ٥٤٥هـ / ١١٥٠م) عندما ذهب إلى القول بان الإمام المهدي الحسين بن القاسم ووالده المنصور كانا يريا أشياء تقضي بمخالفتهما لمذهب أسلافهما ، وانهما يسترجحان أشياء من مذهب الفاطميين[1] .

---

(١) د . ايمن فؤاد سيد : تاريخ المذاهب الدينية في اليمن ، ص ٢٤٠ ، نقلا عن أئمة اليمن لمحمد زبارة

أهم المصادر والمراجع

أولا : المصادر والمراجع العربية :

١- السيد ابن أبي الرجال (صفي الدين احمد بن صالح بن محمد ت ١٠٩٢هـ): مطلع البدور ومجمع البحور ، مخطوط مصور بدار الكتب المصرية برقم (٤٣٢٢ تاريخ) جـ٤.

٢- ابن الوزير: الروض الباسم في الزب عن سنة أبى القاسم، نشر دار الطباعة المنيرية بمصر، جـ١.

٣- ابن رشد (أبو الوليد محمد ت ٥٩٥ هـ): الكشف عن مناهج الأدلة ، نشر المكتبة المحمودية بمصر ، د . ت .

٤- ابن رشد (أبو الوليد محمد ت ٥٩٥ هـ) : تهافت التهافت ، القسم الأول ، ط ٣ ، تحقيق د . سليمان دنيا ، طبعة دار المعارف بمصر د . ت .

٥- ابن سينا (أبو الحسين بن عبد الله ت ٤٢٨هـ): الإشارات والتنبيهات ، مع شرح نصير الدين الطوسي ، تحقيق د . سليمان دنيا ، دار المعارف القاهرة ، د . ت .

٦- ابن عبد السلام (القاضي جعفر بن أحمد بن محمد ت ٧٠٠هـ): "رسالة في الرد على المُطرِّفية " ، مخطوطة مصورة بالهيئة العامة للكتاب على ميكروفيلم رقم (٢١٥٣) .

٧- الإيجي (عبد الرحمن بن احمد ت ٦٥٦هـ): المواقف في علم الكلام . مكتبة المتنبي ، القاهرة د.ت .

٨- البهي (دكتور محمد): الجانب الإلهي في التفكير الإسلامي. ط ٣ ، مكتبة وهبه، القاهرة سنة ١٩٨٢.

٩- الحبشي (عبد الله محمد) : " مصادر الفكر العربي الإسلامي باليمن "، مركز الدراسات اليمنية ، صنعاء د . ت .

١٠- الحموي (ياقوت ت ٦٢٦هـ) : " معجم البلدان " ، دار صادر ، بيروت ، د . ت.

١١- الخياط (أبو الحسين عبد الرحيم المعتزلي البغدادي ت ٣٠٠هـ): " الانتصار " ، تحقيق نيبرج ، دار الكتب المصرية سنة ١٩٢٥.

١٢- السبكي (تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي ت ٧٧١هـ): طبقات الشافعية الكبرى ،تحقيق محمود محمد الطناحي- عبد الفتاح محمد الحلو ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة د.ت.

١٣- الشهرستاني (عبد الكريم ت ٥٤٨ هـ) : الملل والنحل ، إعداد وتقديم عبد اللطيف محمد العبد ، ط ١ ، مكتبة الانجلو المصرية ، سنة ١٩٧٧م.

١٤- الشهرستاني (عبد الكريم ت ٥٤٨ هـ): نهاية الإقدام في علم الكلام ، نشر الفرد جيوم ، د . ت .

١٥- الطحان (دكتور محمود): تيسير مصطلح الحديث ، مكتبة المعارف الرياض ، سنة ١٩٨١م.

١٦- العراقي (دكتور محمد عاطف) : " النزعة العقلية في فلسفة بــن رشد " ، ط ٤ ، دار المعارف بمصر ، سنة ١٩٨٤م .

١٧- العراقي : ثورة العقل في الفلسفة العربية ، ط ٥ ، دار المعــارف ، القاهرة سنة ١٩٨٤م.

١٨- العياني : (الإمام المهدي لدين الله الحسين بن القاسم ت) : "كتاب الرد على من جحد الله " ضمن مجموع المعجز المصور بالهيئة العامــة للكتاب على ميكروفيلم (رقم : ٢٧٢) عن اصل بمكتبة الجامع الكبــير بصنعاء (١٣٠) علم كلام (من لوحة ٢ ــ ١١) .

١٩- العياني : (الإمام المهدي لدين الله الحسين بــن القاســم ت) : " كتاب التوحيد والتناهي والتحديد " ضمن مجمــوع المعجــز المصــور بالهيئة العامة للكتاب على ميكروفيلم (رقم : ٢٧٢) عن اصل بمكتبــة الجامع الكبير بصنعاء (١٣٠) علم كلام (من لوحة ٩٨ ــ ١١٦).

٢٠- العياني : (الإمام المهدي لدين الله الحسين بن القاسم ت) : "كتاب شواهد الصنع " ضمن مجموع المعجز المصور بالهيئة العامة للكتــاب على ميكروفيلم (رقم : ٢٧٢) عن اصل بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء (١٣٠) علم كلام (من لوحة ٣٠ ــ ٧٦).

٢١- العياني : (الإمام المهدي لدين الله الحسين بــن القاســم ت) : " كتاب الرد على عبدة النجوم " ضمن مجموع المعجز المصور بالهيئــة العامة للكتاب على ميكروفيلم (رقم : ٢٧٢) عن اصل بمكتبة الجــامع الكبير بصنعاء (١٣٠) علم كلام (من لوحة ١١ ــ ٢٣).

٢٢- العياني : (الإمام المهدي لدين الله الحسين بـــن القاســم ت) : " كتاب الطبائع " ضمن مجموع المعجز المصور بالهيئة العامــة للكتــاب على ميكروفيلم (رقم : ٢٧٢) عن اصل بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء (١٣٠) علم كلام (من لوحة ٢٣ ــ ٣٠).

٢٣- المسعودى (أبو الحسن علي بن الحسين ت ٣٤٦هـ) : " مــروج الذهب " ، جـ٣ ، تحقيق محمد محي الدين عبــد الحميــد ، المكتبــة الإسلامية بيروت ، د.ت .

٢٤- المحلي (حميد بن أحمد بن محمــد ت ٦٥٢ هـــ) : " الحدائــق الوردية في مناقب الأئمة الزيدية " ، مخطــوط مصــور بــدار الكتــب المصرية برقم (٨٦٧ تاريخ).

٢٥- المحلي (سليمان بن محمد بن أحمد) : البرهان الرايق المخلــص من ورط المضايق ، مخطوط مصور بالهيئــة العامــة للكتــاب علــى ميكروفيلم رقم (١٤٦) .

٢٦- الملطي (أبو الحسين محمد بـــن احمــد بــن عبــد الرحمــن ت ٣٧٧هـ): التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ، تحقيق محمد زاهــد الكوثري ، القاهرة ، د.ت .

٢٧- النشار (دكتور علي سامي): نشأة الفكر الفلسفي في الإســلام ، ط ٨ ، دار المعارف القاهرة سنة د.ت .

٢٨- الهادي إلى الحق (الإمام يحي بن الحسين ت ٢٩٨هـ) : العــرش والكرسي ، مخطوط مصور بالهيئة العامة للكتاب على ميكروفيلم رقــم (٣٢٢) .

٢٩- بدوي (دكتور عبد الرحمن) : ربيع الفكر اليوناني ، ط ٥ ، دار القلم بيروت ، سنة ١٩٧٩م.

٣٠- جار الله (دكتور زهدي): " المعتزلة " ، مطبعة مصر سنة ١٩٧٨.

٣١- حميدان (الإمام حميدان بن يحي ت ٦٥٦هـ) : "بيان الإشكال فيما حكي عن المهدي من الأقوال " ضمن مجموع رسائله المصور على ميكروفيلم رقم (٢٢١٩) عن اصل بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء / الكتب المصادرة .

٣٢- حميدان (الإمام حميدان بن يحي ت ٦٥٦هـ) : تنبيه الغافلين على مغالط المتوهمين ،ضمن مجموع رسائل حميدان بن حميدان المصور بالهيئة العامة للكتاب على ميكروفيلم رقم (٢٢١٩) عن اصل بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء / الكتب المصادرة .

٣٣- حميدان (الإمام حميدان بن يحي ت ٦٥٦هـ) : تنبيه أولي الألباب ، ضمن مجموع رسائل حميدان بن حميدان المصور بالهيئة العامة للكتاب على ميكروفيلم رقم (٢٢١٩) عن اصل بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء / الكتب المصادرة .

٣٤- رجب (د. محمود) : الميتافيزيقا عند الفلاسفة المعاصرين ، ط ٣ ، دار المعارف سنة ١٩٧٧م .

٣٥- زيدان (دكتور عبد الكريم) : معالم الثقافة الإسلامية،مؤسسة الرسالة، بيروت،طبعة عام ١٩٨٢م.

٣٦- سزكين (فؤاد): تاريخ التراث العربي ، جـ٢ ، ترجمة د. محمود فهمي حجازي ، و د. فهمي أبو الفضل ، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٨.

٣٧- سيد (دكتور ايمن فؤاد) : " تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن حتى نهاية القرن السادس الهجري " الدار المصرية اللبنانية ، سنة ١٩٨٨م .

٣٨- شاكر (محمود) : التاريخ الإسلامي ، م٦ ، الدولة العباسية ، جـ٢ ، ط ١ ، المكتب الإسلامي ، بيروت سنة ١٩٨٥م.

٣٩- صبحي (دكتور احمد محمود) : "الزيدية " ، ط ٢ ، الزهراء للإعلام العربي ، سنة ١٩٨٤.

٤٠- صبحي (دكتور احمد محمود) : في علم الكلام ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الإسكندرية ١٩٧٨.

٤١- عبد الجبار (القاضي عبد الجبار بن أحمد ت ٤١٥ هـ) : شرح الأصول الخمسة ، طبعة مصر الأولى ، تحقيق د.عبد الكريم عثمان ، القاهرة سنة ١٩٦٥م.

٤٢- عبد الجبار (القاضي عبد الجبار بن أحمد ت ٤١٥ هـ): " المنية والأمل " ، جمع المرتضي ، تقديم وتعليق وتحقيق د. عصام الدين محمد على ، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية سنة ١٩٨٥.

٤٣- عبد الرازق (الشيخ مصطفى) : تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية ، طبعة القاهرة ، سنة ١٩٥٣.

٤٤- عبد الرحمن (د. السيد محمد) : الإمام يحي بن الحسين الرسي وآراؤه الكلامية والفلسفية ، رسالة ماجستير مخطوطة بكلية آداب الزقازيق ، جامعة الزقازيق ، تحت إشراف أ . د / محمد محمود أبو قحف أستاذ ورئيس قسم الفلسفة بكلية آداب الزقازيق ، سنة ١٩٩٣م.

٤٥- عبد الرحمن (د. السيد محمد) : الإمام حميدان بن حميدان وآراؤه الكلامية والفلسفية ، رسالة دكتوراه مخطوطة بكلية آداب بنها جامعة الزقازيق ، سنة ١٩٩٦م ، تحت إشراف الأستاذ الدكتور المرحوم علاء احمد حمروش .

٤٦- عبد الرحمن (د. السيد محمد): مذهب الإحالة عند الشيعة المطرفية ، بحث منشور بمجلة كلية الآداب بقنا سنة ١٩٩٨م.

٤٧- عبد الرحمن (دكتور السيد) " التأويل وأبعاده العقائدية والفلسفية عند المعز لدين الله الفاطمي " المنشور بمجلة كلية الآداب بحلوان ، عدد سنة ١٩٩٩م .

٤٨- عبد الفتاح إمام (دكتور إمام) : مدخل إلى الفلسفة، دار الثقافة – القاهرة ط ثانية ، سنة١٩٧٤.

٤٩- كرم (يوسف) : تاريخ الفلسفة اليونانية ، دار القلم بيروت ، د . ت .

٥٠- مراد (دكتور سعيد) : ابن متويه وآراؤه الكلامية والفلسفية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة سنة ١٩٩١م.

٥١- وات (مونتجومرى): فضل الإسلام على الحضارة الغربية ،ترجمة حسين احمد آمين ، طبعة دار الشروق ، القاهرة سنة ١٩٨٣م.

٥٢- وهبه (دكتور مـــراد) : المعجـــم الفلســـفي ، ط ٣ ، دار مـــأمون للطباعة القاهرة سنة ١٩٧٩م.

٥٣- يحي بن الحسين (يحي بن الحسين بن المنصور بالله القاســـم بـــن محمد ت ١١٠٠ هـــ) : " طبقات الزيدية المعروف بالمســـتطاب فـــي تراجم رجال الزيدية الأطياب " مخطوط مصور بدار الكتـــب المصريـــة برقم (١٥٦٣ح).

ثانيا : المراجع الأجنبية :

54 - Zeller (Edward) : outlines of the history of Greek philosophy ,

55- gubien (michael) : contemporary new-York , 1908 .
metaphysics an introduction,

56-Oliver leaman : an introduction to medieval Islamic philosophy , printed in the united states of America , 1985 .

57- mckeon (Richard) : introduction to Aristotle , the university of Chicago press Chicago and London .

58- copleston , s . j (frederick) : a history of philosophy , volume 1 , the Newman press 1960

فهرس الموضوعات

الفصل الثالث

[نظريته في المعرفة]

الفصل الرابع

[مذهبه في الوجود]

الفصل الخامس

[الله : ذاته - صفاته - أفعاله]

الفصل السابع

[النبوة والإمامة]

تم بحمـد الله

مـع تحـيات
دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر
تليفاكس: ٥٢٧٤٤٣٨ - الإسكندرية